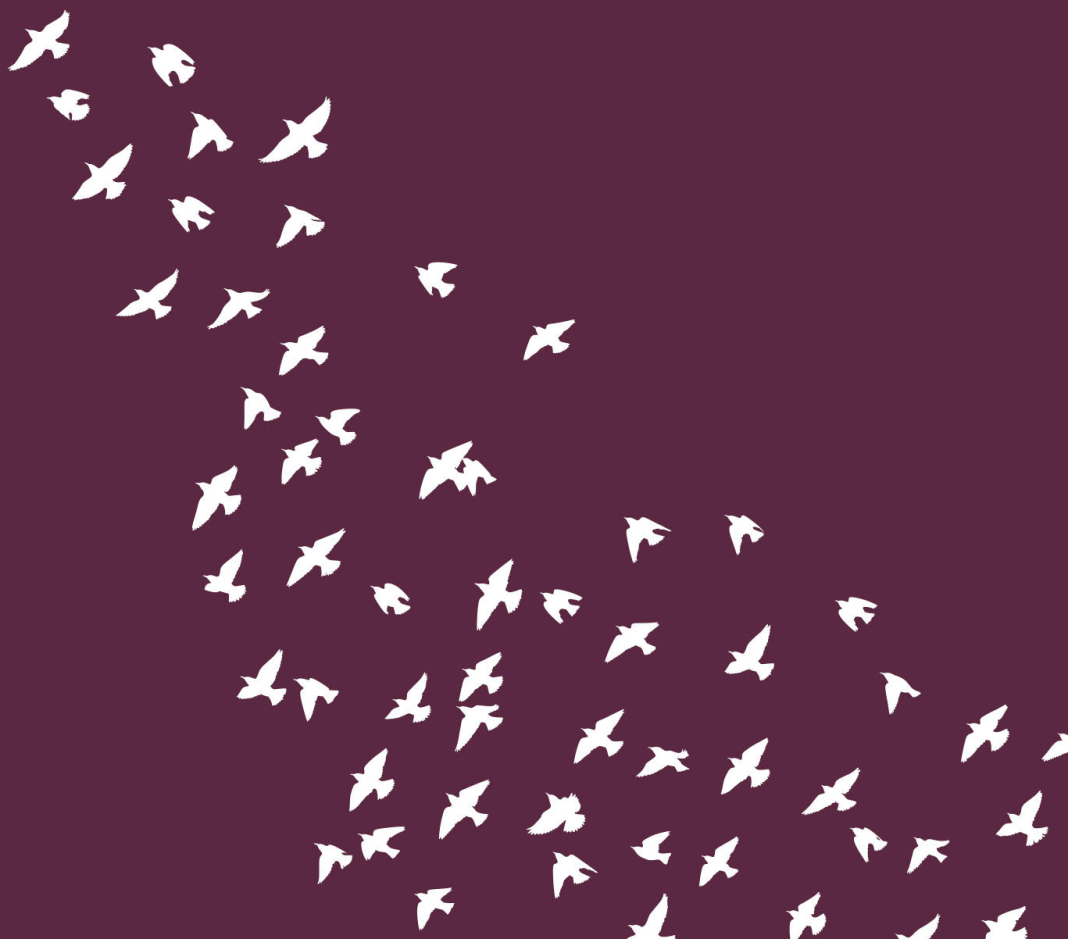


ديوان فوزي المعلوف

فوزي المعلوف



ديوان فوزي المعلوف

تأليف
فوزي المعلوف



ديوان فوزي المعلوف

فوزي المعلوف

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إن مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: إسلام الشيمي

الترقيم الدولي: ٣ ٦٩٤ ٠٦٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب في تاريخ غير معروف.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة

المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل

الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٧	وداع لبنان
٩	الأمُّ أَهْلُ أَهْلِي وَالْبَلَدُ بِلَادِي
١١	لهْفِي للرُّبُوع ...
١٣	حنين المهاجر
١٥	الشاعر المنتحر
١٧	في ذكر زحلة
١٩	هياكلُ بعلبك
٢١	الفينيقيون
٢٣	قبر توت عنخ آمون
٢٧	فتحي وصادق
٢٩	نهاية العالم!
٣١	سيف أبي عبد الله
٣٣	فنون الطبيعة
٣٥	على شاطئ «الرِّيُّو» ...
٣٩	إلى بخيل
٤١	سليمان البستاني
٤٥	بطريرك العرب
٤٧	خشوعاً أمام الموت
٤٩	الغربة في الوطن
٥١	دولة الشعرِ أتعسُّ الدولِ

٥٣	حَمَام على الشاطئ
٥٥	خمر الأحاديث
٥٧	ستذكرني
٥٩	نجوى
٦١	لُفَاة التَّبَغ
٦٣	من يديكَ هَوَتْ رُوحِي على قدميك!
٦٥	فؤادي
٦٧	الحُبُّ الصامتُ
٦٩	بائعة الهوى
٧١	على منارة بيروت
٧٣	شعلة العذاب
٧٩	الحبُّ يكبر بالصُّدود
٨١	لماذا هجرتُ الوطن
٨٣	شوق على شوق!
٨٥	قُبْلُ القَمَر
٨٧	أَوَّاه غَرْنَاة
٨٩	نحن في نيسان
٩١	هناكَ تَحْظَى بِمَيِّ!
٩٣	باقة الزهر
٩٧	لو ...
٩٩	الكفارة

وداع لبنان

رَبَّةَ الشَّعْرِ وَقَفَّةً نَتَمَلَّى
وَالْتَّنَائِي حَانَ
مِنْ سَمَاهُ، وَلَيْسَ أَجْلَى وَأَحْلَى
مِنْ سَمَا لُبْنَانَ
انْظُرِيهَا وَاللَّيْلُ مَدَّ عَلَيْهَا
فَتَخَالِي الْأَدِيمَ فِيهَا غَدِيرًا
وَأَخْشَعِي لِلظَّلَامِ فَهُوَ إِلَهُ
وَأَسْمَعِيهِ يَدْعُو الشِّفَاهُ إِلَى الصَّمِّ
مِنْ نَسِيجِ الْجَلَى وَشَاخًا ثَمِينًا
وَتَخَالِي النُّجُومَ فِيهَا عُيُونًا
كَمْ عَبْدُنَا فِي بُرْدَتِيهِ السُّكُونَا!
تِ وَيَدْعُو إِلَى الْهُدُوءِ الْجُفُونَا
وَأَذْكَرِي كَمْ لَنَا هُنَاكَ قَبْلًا
مَوْقِفٌ فَتَّانٌ
نَرْتَوِي بِالْكُتُوسِ تُحْسَى وَتُمْلَأُ
مِنْ بَنَاتِ الْحَانَ

* * *

رَبَّةَ الشَّعْرِ وَقَفَّةً نَتَمَلَّى
وَالْتَّنَائِي حَانَ
مِنْ هَوَاهُ، وَلَيْسَ أَنْقَى وَأَحْلَى
مِنْ هَوَا لُبْنَانَ
وَلْنُودِعْ أَنْفَاسَهُ وَنَدَاهَا
وَلْنُزَوِّدْ صُدُورَنَا مِنْهُ طَيْبًا

سَوْفَ يَغْدُو عَنَّا بَعِيدًا، وَنَغْدُو بَعْدَ حِينٍ غَرِيبَةً وَغَرِيبًا
نَشْتَهِي مِنْهُ نَشَقَّةَ تَنْعُشِ الرُّوحِ حَ وَتَمَلًّا مِنَ الْغَرَامِ الْقُلُوبَا
وَتَعَالِي نُرْوِي جَنَاحَيْهِ بِالدَّمِّ ع عَسَى أَنَّهُ يَزُورُ الْحَبِيبَا
كَمْ حَنَا قَبْلُ فَوْقَنَا وَتَدَلَّى
مِنْ يَدِ الْأَغْصَانِ
ثُمَّ أَوْحَى لَنَا الْقَوَافِي وَأَمْلَى
أَغْـذَبَ الْأَوْزَانِ

* * *

رَبَّةَ الشَّعْرِ وَقَفَّةً نَتَمَلَّى
وَالْتَّنَائِي حَانَ
مِنْ رُبَاهُ وَلَيْسَ أَبْهَى وَأَحْلَى
مِنْ رُبَى لُبْنَانِ
كَمْ عَشِقْنَا الْحَيَاةَ فَوْقَ ذُرَاهَا وَعَبَدْنَا الْجَمَالَ فِي وَاذِيهَا
وَرَتَعْنَا وَالْغَيْدَ مَا بَيْنَ شَهْدِ نَحْتَسِيهِ وَوَزْدَةٍ نَجْتَنِيهَا
وَعَلَيْنَا مِنَ الْخَيَالِ جَنَاحُ يَحْتَوِينَا مَعًا كَمَا يَحْتَوِيهَا
وَلَنْشَيِّعَ مِنْ بَعْدِهَا كُلَّ أَنْسِ وَلَنْحَطِّمَ قِيَارَةَ الشَّعْرِ فِيهَا
وَلَنْوَدِّعَ صَحْبًا هُنَاكَ وَأَهْلًا
وَحَبِيبًا بَانَ
وَسَمَاءً صَفَتْ وَوَعْرًا وَسَهْلًا
وَهَوًّا رِيَّانَ

الأهل أهلي والبلاد بلادِي

يَهْمِي إِلَى أَنْ يَنْتَهِي بِنَفَادٍ
حَتَّى تُجَلَّلَهَا بِثُوبِ رَمَادٍ
مُتَوَاصِلِ الإِزْغَاءِ وَالْإِزْبَادِ
هَوَجِ الرِّيَّاحِ رَوَائِحِ وَعَوَادِي
لَكَ مَأْمَلٌ بِرُجُوعِ عَهْدِ الْوَادِي
وَهَوَاكَ بِسَامٍ وَفِكْرُكَ هَادِي
وَعَلَى جُفُونِكَ نَشْوَةُ الصَّيَّادِ
فُرْصُ تَفَوُّزٍ بِهَا بِلا مِيعَادِ
وَنُهَاكَ مُبْتَدِعَ وَقَلْبِكَ شَادِي
وَتَبْنُ حِينًا أَنَّهُ الْأَعْوَادِ

أَطْلِقْ لِمَدْمَعِكَ الْعِنَانَ وَخَلِّهِ
وَدَعَ الضُّلُوعَ تُذِيبُهَا نِيرَانُهَا
أَصْبَحْتَ فِي بَحْرِ كَقَلْبِكَ هَائِجٍ
مُتَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ تَهْدُرُ فِيهِ مِنْ
وَنَاتٍ دِيَارُ الْأَهْلِ عَنْكَ فَلَمْ يَعُدْ
أَيَّامُ كُنْتَ بِهِ وَعَيْشُكَ زَاهِرٌ
تَتَصَيَّدُ اللَّذَاتِ بَيْنَ رِيَاضِهِ
وَتَرَى الْمُنَى تَرْنُو إِلَيْكَ وَكُلَّهَا
وَالْحُسْنَ يُلْهِمُكَ الْبَيَانَ فَتَنْثَنِي
حِينًا تُغْنِي مَعَ بَلَابِلِ دَوْجِهِ

* * *

عَوْدُ الْقَدِيمِ وَإِنْ عَدَّتْهُ عَوَادِي
مَهْمَا يَكُنْ فِيهِ مِنْ اسْتِبْدَادِ
مِنْهُ وَأَمْحُضُهُ صَحِيحَ وَدَادِي
فَالْأَهْلُ أَهْلِي، وَالْبِلَادُ بِلَادِي
بِقَمِي، وَأَرِثِي حَظَّهُمْ بِمَدَادِي
حَتَّى يُلْعِثِمَهُ أَنْيُنُ فَوَادِي
إِلَّا وَتَلْبِسُهُ ثِيَابَ حِدَادِ

أَوَاهُ مِنْ ذِكْرَى الْقَدِيمِ وَحَبْدَا
أَشْتَاقُهُ شَوْقَ الْمُحِبِّ إِلَى الْهَوَى
وَأُحِبُّهُ بِالرَّغْمِ عَمَّا نَالَنِي
مَهْمَا يَجُزُّ وَطَنِي عَلَيَّ وَأَهْلُهُ
أَرِثِي لِبُؤْسِهِمْ فَأَنْدُبُ خَالَهُمْ
هَذَا لِسَانِي لَا يَجِيءُ بِذِكْرِهِمْ
وَيَرَاعَتِي مَا أَنْ تَمُرَّ بِأَبْيَضِ

* * *

تَاللِّهِ إِنِّي قَدْ وَقَفْتُ عَلَيْهِمْ
وَإِذَا انْتَقَدْتُهُمْ فَمَا لِي غَايَةٌ
خَبَطُوا بِظُلُمَاتِ الضَّلَالِ وَلَمْ يَقُمْ
وَاسْتَعْدَبُوا ذُلَّ الْقُيُودِ فَأَصْبَحُوا
وَعَدَا بِهِ لُبَنَانٌ بَعْدَ عَجِيجِهِ
هُمْ ضَيَّعُوا إِرْثَ الْجُدُودِ فَنَالَهُمْ
قَسَمًا بِأَهْلِي لَمْ أَفَارِقْ عَنْ رِضَى
لَكِنْ أَنْفَتُ بَأْنَ أَعِيشَ بِمَوْطِنِي
أَنَا بَعْدَهُمْ لَا يَنْتَهِي شَوْقِي وَلَا
الْبَحْرُ تَحْتِي وَاللَّظَى فِي أَضْلَعِي

رُوحِي وَأَفْكَارِي وَكُلُّ جِهَادِي
إِلَّا قِيَادَتُهُمْ لِنَهْجِ سَدَادٍ
فِيهِمْ إِلَى السُّبُلِ الْقَوِيمَةِ هَادِي
يَتَفَاخَرُونَ بِنِيرِ الاسْتِعْبَادِ
بِالْأُسْدِ مَأْسَدَةً بِلاَ آسَادِ
غَضَبُ الْجُدُودِ وَلَعْنَةُ الْأَخْفَادِ
أَهْلِي وَهُمْ ذُخْرِي وَكُلُّ عِمَادِي
عَبْدًا وَكُنْتُ بِهِ مِنَ الْأَسْيَادِ
يَدْنُو صَفَايَ وَلَا يَطِيبُ رُقَادِي
وَالْمَاءُ مِنْ حَوْلِي وَقَلْبِي صَادِي

لَهْفِي لِلرُّبُوعِ ...

عَادَ عَهْدُ الشَّقَا إِلَيْهِ فَعُودِي
حَوَلْتُ شَدُوكَ اللَّيَالِي نَوَاحًا
كَانَ رَوْضَ الْمُنَى فَبَاتَ وَأَهْلُو
يُزْهِقُ الدَّهْرُ كُلَّ حَرٍّ عَلَيْهِ
وَأَنْدُبِيهِ يَا طَيْرُ فَوْقَ الْعُودِ
فَارْجِعِي ... فَارْجِعِي عَنِ التَّغْرِيدِ
هُ لُحُودٌ تَسِيرُ بَيْنَ لُحُودِ
فَهُوَ فِيهِ الْمَسِيحُ بَيْنَ الْيَهُودِ

* * *

إِيهِ لُبْنَانُ! كَمْ بَكَيتَ وَتَبَكِّي
كُنْتُ تَبْكِي فِيهِ وَهَذَا أَنْتَ تَبْكِي
يَا حَنِينِي إِلَى مَغَانِيكَ لَوْلَا
وَالِىَ الْأَفْقِ صَافِيًا فِيكَ لَوْلَا
وَالِىَ الْمَاءِ طَيِّبَ الْوَرْدِ لَوْلَا
وَالِىَ الرِّيحِ مِنْ صُرُودِكَ لَوْلَا
وَالِىَ الْبَحْرِ فِي شَوَاطِيكَ لَوْلَا
وَالِىَ الْأَرْزِ شَامِخَ الرَّأْسِ لَوْلَا
وَضَعُوهُ طَيِّ الْمُثَلَّثِ، تَحْتَ الْـ
بَيْنَ عَهْدٍ مَضَى، وَعَهْدٍ جَدِيدِ
عَلَى رَغَمِ بُؤْسِهِ الْمَعْهُودِ
صَارِمٌ فِيكَ سُلٌّ لِلتَّهْدِيدِ
مَا بِهِ الْيَوْمَ مِنْ غَمَائِمٍ سُودِ
مَا جَرَى فِيهِ مِنْ سُمُومِ الْوَعِيدِ
نَفَثَاتُ الْفَسَادِ بَيْنَ الصُّرُودِ
أَنَّهُ نَمَّ بِالْعَدَاءِ الشَّدِيدِ
أَنَّهُمْ حَمَلُوهُ ذُلَّ السُّجُودِ
بَيْضُ، بَيْنَ الدَّمَاءِ وَبَيْنَ الْحَدِيدِ

* * *

لَهْفِي لِلرُّبُوعِ تُضْجِي وَتُمْسِي
يَنْزَحُ السَّاكِنُونَ عَنْهَا وَوَجْهَ الْـ
وَهْيَ خُلُوٍّ إِلَّا مِنْ التَّنْكِيدِ
أَرْضِ رَحْبٍ إِلَى الْمَزَارِ الْبَعِيدِ

مِنْ فَتَاةٍ، وَمِنْ فَتًى، وَغَنِيٍّ
مِثْلَمَا تَنْزَحُ الطُّيُورُ عَنِ الرُّو
أَوْ كَمَا تَنْفُرُ الظُّبَا عَنْ غَدِيرٍ
وَدَّعَوْهَا وَالِدَمْعُ مِلءُ الْمَاقِي
وَلَوْ أَنَّ الْأَصَمَّ يَسْمَعُ صَوْتًا
وَفَقِيرٍ، وَوَالِدٍ وَوَلِيدٍ
ضِيقَ رَاعِهَا ذُبُولُ الْوُرُودِ
أَمَّهُ الذُّنْبُ طَالِبًا لِلْوُرُودِ
لِنَوَاهَا، وَالنَّارُ مِلءُ الْكُبُودِ
صَرَخُوا بِالْبَوَاخِرِ الصُّمِّ: عُودِي

حنين المهاجر

وَأَطُولَ أَشْوَاقِي إِلَى الْوَادِي! وَادِي الْهَوَى وَالْحُسْنِ وَالشَّعْرِ
مَلْهُى صَبَايَ وَمَهْدِ مِيلَادِي وَعَسَى يَكُونُ بِحِضْنِهِ قَبْرِي

* * *

وَالكَرْمُ يَكْسُو سَنَى الشَّفَقِ أَلْوَانَهُ وَيَشْعُ بِالْعَنِبِ
فَتَرَى بِهِ فِي صُفْرَةِ الْوَرَقِ عَسَلًا بِلُؤْلُؤَةٍ عَلَى ذَهَبِ

* * *

وَالْمَاءُ تَشْعُرُ حِينَ تَشْرِبُهُ بِقُوَى تَدْبُ بِهِ إِلَى جَسَدِكَ
لَيْسَ النَّدَى، وَالْفَجْرُ يَسْكُبُهُ لِلزَّهْرِ، أَعَذَبَ مِنْهُ فِي كَبِدِكَ

* * *

وَأِلَى الرَّبَى، وَاللَّيْلُ كَلَّلَهَا بِسُكُونِهِ الْمَمْلُوءِ بِالسَّحْرِ
وَمَشَى الْهَوَى فِيهَا فَظَلَّلَهَا بِمَوَاكِبِ الْأَحْلَامِ وَالشَّعْرِ

* * *

وَالنَّهْرُ مَا أَحْلَاهُ يَنْتَقِلُ فِي حِضْنِ حِصْبَاءٍ مِنَ الدَّرَرِ!
تَهْوِي عَلَيْهِ الشُّهُبُ تَغْتَسِلُ فِي اللَّيْلِ، وَالْأَنْوَارُ فِي السَّحْرِ

* * *

وَاهَا عَلَى الْمَاضِي وَأَيَّامِهِ مَا كَانَ أَسْعَدَهَا وَأَقْصَرَهَا!
فَرَّتْ فِرَارَ لَذِيذِ أَحْلَامِهِ لَمْ تُبْقِ لِي إِلَّا تَذْكَرَهَا

* * *

أَيَّامُ أَنْسٍ مَا أُحْيَلَاها وَأَحَبَّ صُورَتَهَا إِلَى فِكْرِي!
قَلْبِي يَذُوبُ جَوَى لِذِكْرَاهَا فِي أَضْلَعِي، وَمَدَامِعِي تَجْرِي

الشاعر المنتحر

مَتَّ وَالْعُمُرُ فِي أَوَانِ افْتِرَارِهِ
وَيَصُوبُوا كُلُّهُ إِلَى إِدْبَارِهِ
فَأَسْرَعْتَ فِي اخْتِيَارِ جَوَارِهِ
لِللِقَاءِ وَمُوجَسًا مِنْ فِرَارِهِ
تَكِلُ الْعُقُولُ عَنْ إِظْهَارِهِ
حُرَّةَ حَمَلَتِهِ فَوْقَ اقْتِدَارِهِ
عَلَيْكَ الْمَمَاتُ ظِلُّ اضْفِرَارِهِ
فِي الْعَالَمِينَ مِنْ آثَارِهِ
عَلَى الْأَرْضِ مَيِّتٌ لَمْ تَوَارِهِ
الْأَمَةِ وَالْفُؤَادِ مِنْ أَكْدَارِهِ
وَكَذَلِكَ الْخُلُودِ مِنْ أَسْرَارِهِ
هُوَ غَيْرُ الْأَحْيَاءِ فِي أَطْوَارِهِ
وَقَدْ جَاءَ بِمِلءِ اخْتِيَارِهِ
بَهِيمٌ وَالْمَوْتُ مِنْ أَسْحَارِهِ
دُرُوسًا كَبِيرَةً بَانَتْ حَارِهِ
شَيْءٌ يَدْعُو لِغَيْرِ احْتِقَارِهِ
يَنْقُضِي بَيْنَ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ
وَمُصِيبٌ مَنْ يَغْتَنِي بِاخْتِصَارِهِ

مَايْتٌ أَنْتَ؟ مَاذَا دَهَاكَ؟ لِمَاذَا
شَبَحَ الْمَوْتَ مُرْعَبٌ يَبْعَثُ الْهَوْلَ
كَيْفَ أَحْبَبْتَهُ، وَمَاذَا تَصَبَّأَكَ
بَاسِمًا لَأَعْتِنَا قِهِ وَمَشَوْقًا
أَهِيَ الرُّوحُ فِيكَ جَازَتْ إِلَى حَدٍّ
أَمْ هُوَ الْجِسْمُ ضَاقَ عَنْ ضَمِّ نَفْسٍ
لَسْتَ مَيِّتًا، بَلْ أَنْتَ حَيٌّ وَإِنْ أَلْقَى
إِنَّمَا الْمَرْءُ خَالِدٌ بِالَّذِي يُبْقِيهِ
كَمْ تَوَارِي الْقُبُورُ حَيًّا وَكَمْ يَمْشِي
إِنَّمَا الْقَبْرِ رَاحَةُ الْجِسْمِ مِنْ
وُجُودِ الْإِنْسَانِ فِي الْكَوْنِ سِرٌّ
كَبِيرِي يَا قُبُورُ جَاءَكَ ضَيْفٌ
يَذْهَبُ النَّاسُ مُزْغَمِينَ إِلَى الْقَبْرِ
شَاعِرٌ لَا يَرَى الْحَيَاةَ سِوَى لَيْلٍ
وَخَطِيبٌ أَلْقَى عَلَى مِنْبَرِ الْمَوْتِ
هَجَرَ الْعَيْشِ بِاحْتِقَارٍ وَهَلْ فِي الْعَيْشِ
كُلُّ مَا يَخْتَوِيهِ هُمْ فَهَمٌّ
إِنْ عُمَرَ الشَّقَاءُ عُمُرٌ طَوِيلٌ

لَيْسَ عَارٌ فِي الْإِنْتِحَارِ مَشِينٌ فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْبَقَاءِ وَعَارُهُ

* * *

مَا دَعَوْتُ الْبَيَانَ حَتَّى عَصَانِي مُذْ دَرَى بِانْقِطَاعِ عَمْرِ هَزَارَهُ
يَا لَشَعْرِي يَرِثُنِي ضِيَاعَ قَوَافِيهِ وَعُودِي يَبْكِي عَلَى أُوتَارِهِ!

في ذكر رحلة

يُقَيِّدُنَا فِيهَا فُؤَادًا وَمَذْهَبًا
نُرَاقِبُ فِي النَهْرِ اللُّجَيْنِ الْمُدَوَّبَا
وَقَدْ سَدَلْتُ فِي غَيْهَبِ اللَّيْلِ غِيَهَبَا
مُجَدِّينَ وَجَدًا، مُنْشِدِينَ تَشْبُوبَا
تَتَبُّعُنَا تِلْكَ الظُّبَاءُ فَتَهْرَبَا
وَيَا لَكَ عَهْدًا كَانَ كَالْحُلْمِ طَيِّبَا!

أَتَنْسَى لَيَالِينَا بِرَحْلَةٍ، وَالْوَلَا
أَتَنْسَى تَمْشِينَا عَلَى ضِفَّةِ الصَّفَا
تَمُرُّ بِنَا الْغَادَاتُ شَارِدَةً الْخُطَى
وَنَقْفُو خُطَاهَا خَافِقِينَ صَبَابَةً
وَنَلْتَجِفُ الظُّلَمَاءَ خَشِيَةً أَنْ تَرَى
فَيَا لَكَ بُعْدًا صَارَ يَقْظَةً حَسْرَةً!

هياكل بعلك

وَقَفْتُ وَقَدْ مَدَّ السُّكُونُ رِوَاقَهُ
خَشُوعًا كَأَنِّي سَاجِدٌ ضِمْنُ هَيْكَلٍ
وَكُلِّي عُيُونٌ مُعْجَبَاتُ شَوَاحِصُ
تَنْقُلُنَ فِيهَا وَهْيَ لِلْمَجْدِ صَفْحَةٌ
عَلَيْهَا وَغَطَّاهَا أَصِيلٌ مِنَ التَّبَرِّ
صُمُوتًا كَأَنِّي مُسْتَقِلٌّ عَلَى قَبْرِ
مَنْعَنَ عَلَى قَلْبِي التَّنَفَّسَ فِي صَدْرِي
ذَوَاهِبٍ مِنْ سَطْرِ مُجِيدٍ إِلَى سَطْرِ

* * *

فَيَا لَطُلُولَ لَا الزَّلَازِلُ زَعَزَعَتْ
فَأُبْقَتْ عَلَيْهَا مِنْ قُصُورٍ وَرَهْبَةٍ
وَأَعْمِدَةٍ مِلءِ الْفَضَاءِ كَأَنَّهَا
جَبَابِرَةٌ تَزْنُو بِكِبَرٍ إِلَى الثَّرَى
وَضَخَمَ حِجَارَ كَالْجِبَالِ إِذَا هَوَتْ
عَلَى خَالِقٍ مَنْصُوبَةٍ عَزَّ خَفُضُهَا
بُنَاهَا وَلَا الْإِنْسَانُ أَوْ غَيْرُ الدَّهْرِ
وَلَيْسَ لِتَخْلِيدِ الصَّنَاعَةِ وَالذِّكْرِ
بِأَعْنَاقِهَا تَبْغِي مُعَانَقَةَ الزُّهْرِ
وَتَرْمُقُ وَجْهَ الْأَفْقِ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ
عَلَى جَبَلٍ شَقَّتْ رَوَابِيهِ بِالْوَقْرِ
تُحِيرُ فِي كَيْفِيَّةِ الرَّفْعِ وَالْجَرِّ

* * *

وَمُتَقِنَ أَصْنَامَ عَفَا الْفَنُّ قَبْلَمَا
خَلَتْ أَغْصُرُ كَثُرَ عَلَيْهَا وَمَا خَلَتْ
وَزَاهِي نَقُوشٍ لَوْ تَفَحَّصْتَ صُنْعَهَا
ذَوَى الرُّوْضِ مَرَّاتٍ وَأَزْهَرَ بَعْدَهَا
وَأَسَدٍ مِنَ الصَّخْرِ الْأَصَمِّ تَخَالَهَا
عَفَا مَا بِهَا مِنْ دَقَّةِ النَّقْشِ وَالْحَفْرِ
مِنَ الْمَنْظَرِ الْخَلَابِ وَالرُّوْنِقِ النَّضْرِ
لَاكْبَرَتْ مَا فِيهَا مِنَ النُّظْمِ وَالنَّثْرِ
وَمَا زَالَ غَضًا مَا تَضُمُّ مِنَ الزُّهْرِ
تَهُمُّ بِوَثْبٍ ثُمَّ تَرْبِضُ عَنْ كِبَرٍ

إِذَا فَاتَهَا مِنْ لَيْثٍ غَابَ زَيْبُهَا فَمَا فَاتَهَا أَنْ تَمَلَأَ الْقَلْبَ بِالذُّعْرِ

* * *

نَعُوبٌ عَلَى الْأَطْلَالِ تَفَحَّصَ بِالظَّفْرِ فَأَلْقَى عَلَى رُوحِي جَنَاحًا مِنَ السَّحْرِ يُطِلُّ عَلَى الْمَاضِي الْمُمْنَطَقِ بِالسَّرِّ وَتَنْشُرُهَا بَيْنَ النَّوَظِرِ وَالْفِكْرِ أَوْ أَنِّي غَرِيقٌ فِي عُبَابٍ مِنَ السُّكْرِ وَعَادَ إِلَيْهِ زَهْوُ أَيَّامِهِ الْخُضِرِ بَنُو الْأَرْضِ طَرًّا لِلْعِبَادَةِ وَالنَّذْرِ يَمُوجُونَ مَوْجَ الْبَحْرِ بِالْمَدِّ وَالْجَزْرِ أَخِرُّ عَلَى وَجْهِهِ وَأَجْهَرُ بِالْكَفْرِ وَأَعْبُدُ أَصْنَامًا هُنَاكَ مِنَ الصَّخْرِ	وَمَا رَاعَنِي فِيهَا سِوَى صَوْتِ بُومَةٍ وَكَانَ سُكُوتٌ ثُمَّ أَلْقَى جَنَاحَهُ وَطَارَ بِهَا فِي عَالَمٍ غَيْرِ عَالَمِي فَهَامَتْ بِهِ تَطْوِي الْعُصُورَ بِلَحْظَةٍ وَحَيْلٌ لِي أَنِّي مِنَ الْحُلَمِ فِي دُجَى فَأَبْصَرْتُ مَا حَوْلِي اسْتَعَادَ رِوَاءَهُ وَعَادَتْ مَحَجًّا بَعْلَبَكَ يَوْمُهَا يَرُوحُ وَيَغْدُو الْعَابِدُونَ بِسَاحِهَا فَكَدْتُ لِإِعْجَابِي وَشِدَّةِ حَيْرَتِي وَأَنْسَى إِلَهِي وَهُوَ فِي الْغَيْبِ مُضْمَرٌ
---	--

* * *

أَرَى مَا رَأَيْتُ الْآنَ أَوْهَامَ مُغْتَرٍّ وَقَدْ كَانَ حِصْنًا لِلْهَزَارِ وَلِلنَّسْرِ! فَأَصْبَحَ قَبْرًا لِلْمَنَاحَةِ وَالذُّكْرِ!	وَلَمْ يَمُضِ حِينَ فَاسْتَفَقْتُ بِغُصَّةٍ فَيَا لَكَ وَكُرًّا صَارَ لِلْيَوْمِ مَسْرَحًا وَيَا لَكَ قَصْرًا كَانَ لِلْفَنِّ وَالنُّقَى
---	---

الفينيقيون

يَغْلِي الشَّبَابُ وَيُخَفِّقُ الإِقْدَامُ
وَالْأَرْضُ قَحْطٌ وَالرِّمَالُ عِقَامُ
مِنْ وَطْأَةِ الْحُمَى عَلَيْهِ ظِلَامُ
وَالْبَحْرُ يَلْمَعُ مَوْجُهُ الْبَسَامُ
بِيضَاءَ تَخَفُّقِ فَوْقَهَا الْأَعْلَامُ
وَصَدَى مَجَاذِيفٍ لَهُنَّ صِدَامُ
مُسْتَعْرِضًا أَحْمَالَهَا حِيرَامُ
دُرَّرَ لَهُنَّ تَوْهَجٌ وَنِظَامُ
خَزٌّ وَمِنْ غَالِي الْعَقِيقِ رُكَامُ
وَالشَّقْوَ خَلْفَ وَالرَّجَاءُ أَمَامُ
وَجَبِيلَ قَدْ شَدُّوا الْجِبَالَ وَقَامُوا
عَلِمَ الْحَضَارَةُ وَالشُّعُوبُ نِيَامُ

يَا أُمَّةَ طَمَّاحَةً، فِي صَدْرَهَا
مَا بَيْنَ لُبْنَانَ وَشَاطِئِ سُورِيَا
عَمَّا يُفْتَتَشُ نَاطِرُكَ نَبِيرُ
لِلَّهِ صُورٌ وَهِيَ تَسْبَحُ فِي الضِّيَا
فِي زُرْقَةِ الشَّطِّ الْجَمِيلِ تَأَلَّقَتْ
وَهُنَاكَ أَشْرَعَةُ لَهُنَّ تَمْوُجُ
سُفُنُ مِنَ الْأَرَزِّ الْمَتِينِ يُعِدُّهَا
بِالصُّولِجَانِ الْأَسْوَدِ اللَّمَاعِ مِنْ
مَنْ عَسَجِدٍ فِيهَا وَبَرْفِيرٍ وَمِنْ
سِيرُوا فَمَلَقَارُ يُبَارِكُ مَنْ جَلَوْا
مِنْ أَرْضِ صِيدُونِ وَمَنْ آرَادُسِ
لِيُوسِعُوا سُبُلَ الْحَيَاةِ وَيَنْشُرُوا

قبر توت عنخ آمون

رَصَدُ يَذُودُ هُنَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ
هِيَ حُرْمَةٌ الْمَدْفُونِ بَيْنَ رَحَابِهِ
لَا يُسْتَبَاحُ قُبَيْلُ يَوْمِ حِسَابِهِ
مُسْتَشْفِيًا بِالْمَوْتِ مِنْ أَوْصَابِهِ
مَشْلُولَةً وَتَعُورُ تَحْتَ قَبَابِهِ
وَيَرَى بِهِ الْعَانِي مَحَطَّ رَغَابِهِ
لَوْ خَيْرَتْ وَالْجِسْمُ غَيْرَ تَرَابِهِ

لَا الْقَبْرُ مَسْحُورٌ وَلَا فِي بَابِهِ
لَكِنَّ فِيهِ حُرْمَةٌ مَدْفُونَةٌ
فِي زِمَّةِ الْقَبْرِ الْوَفِيِّ مُكْفَنٌ
نَصَبَتْهُ أَوْصَابُ الْحَيَاةِ فَعَافَهَا
فِي مَخْدَعِ تَقِفُ النَّوَائِبُ عِنْدَهُ
يَلْقَى بِهِ الْعَاتِي نَذِيرًا عَاتِيًا
لَيْسَتْ تَخِيرُ الرُّوحَ غَيْرَ سَكُونِهِ

* * *

فِي نَعِيشِهِ، وَحَذَارٍ مِنْ إِغْضَابِهِ
وَارِبًا بِنَفْسِكَ مِنْ مَسَاسِ نِقَابِهِ
يَغْدُو الرَّدَى الْمَحْتُمُ بَعْضَ عِقَابِهِ
لَمْ يَنْجُ مِنْ غَضَبِ الثَّرَى وَذُبَابِهِ
مَا فُلَّ سَيْفُ رُجٍّ ضَمَّنَ قَرَابِهِ

فَدَعَ الدَّفِينِ يَنَامُ مِلءَ جُفُونِهِ
حَرَمٌ عَلَيْكَ رُقَاتُهُ قَارِبًا بِهِ
إِنَّ الْمُغِيرَ عَلَى الْقُبُورِ وَأَهْلَهَا
إِنْ يَنْجُ مِنْ صَمَصَامِهِمْ وَذُبَابِهِ
هَذَا الدَّفِينُ وَإِنْ ثَوَى ذُو صَوْلَةٍ

* * *

فَيَنَالُهَا، وَتَحَارُ فِي أَسْبَابِهِ
أَمْوَاجُهُ دَفَنْتُهُ طَيَّ عُبَابِهِ
مُسْتَهْدِفٌ عَمْدًا لِسَمِّ لُعَابِهِ

أَتُبِيحُ نَفْسَكَ لِلرَّدَى مُتَعَمِّدًا
مَنْ رَاحَ يَقْتَحِمُ الْخِصَمَ مُكَافِحًا
وَمُدْغِدُ الثُّعْبَانِ دَاخِلَ جُحْرِهِ

وَمُرُوعُ الضَّرْغَامِ فِي عَرِيْسِهِ يَهْوِي فَرِيْسَةً مِخْلَبِيْهِ وَنَابِه

* * *

دَعِ لِلْقَضَاءِ كِتَابَهُ يَقْضِي بِمَا يَقْضِي فَلَسْتَ رَهِيْنَ أَمْرِ كِتَابِه
مَا كَانَ سَعْدُكَ مِنْ صُدَاحِ هَزَارِه أَوْ كَانَ نَحْسُكَ مِنْ نَعِيْبِ غَرَابِه
كَلَّا وَلَا أَوْلَاكَ مَاءَ غَدِيْرِه غَيْرُ الَّذِي أَوْلَاكَ لَمَعَ سَرَابِه
حُكْمُ الرَّدَى فِي الْكُوْنِ حُكْمُ مُبْرَمٍ وَلَوْ اعْتَصَمْتَ بِنَجْمِه وَسَحَابِه
لَكِنَّ مَنْ يَقْضِي بِعَجْزِ مَشِيْبِه غَيْرُ الَّذِي يَقْضِي بِزَهْوِ شَبَابِه

* * *

إِيْهِ أَخَا اللُّوْرَدَاتِ كَعْبَةَ فَخْرِهِمْ وَمُحَلِّي الْأَنْسَابِ مِنْ أَحْسَابِه
تَالِلِه مَا أَنَا شَامِتٌ بِمِلْمَةٍ طَعَنْتُ صَمِيْمَ الْعِلْمِ فِي أَغْصَابِه
نَزَلْتُ عَلَيْكَ فَغَيَّبْتُ بِكَ كَوْكَبًا سَرْعَانَ بَيْنَ سَطْوَعِه وَغِيَابِه
رُمْتَ الْخُلُودَ وَقَدْ خَلَدْتَ وَإِنْ تَكُنْ ذَهَبْتَ حَيَاتِكَ فِي سَبِيْلِ طِلَابِه
مَا مَاتَ مَنْ مَلَأَ الْمَجَالِسَ ذِكْرُهُ وَحَبَاهُ كُلُّ الْكُوْنِ مِنْ إِعْجَابِه
لَمْ تَأَلُ فِي وَادِي الْمُلُوكِ مُنْقَبًا فِي سَفْحِ قِمَّتِه وَرَأْسِ هَضَابِه
حَتَّى وَقَعْتَ عَلَى دَفِيْنٍ كُنُوْزِه وَأَدْعَتْ أَيْ حِجَابِه وَعُجَابِه
أَشْرَفْتَ مِنْهُ عَلَى الْقُرُونِ خَوَالِيَا فَأَعَدْتَ مَاضِيَهَا عَلَى أَغْقَابِه
وَرَأَيْتَ فِي التَّارِيخِ أَكْبَرَ ثُلْمَةٍ وَأَضَفْتَ أَبْوَابًا إِلَى أَبْوَابِه
فَسَمَوْتُ بِالْوَادِي إِلَى أَسْمَى الذَّرَى لَكِنَّ جَنِيْتَ عَلَى نَزِيْلِ شِعَابِه
وَلَوْ اكْتَفَيْتَ بِسَلْبِ كُلِّ كُنُوْزِه وَمَتَاعِه وَطَعَامِه وَثِيَابِه
لَعَفَا وَلَمْ يَحْقِدْ عَلَيْكَ وَإِنَّمَا حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِانْتِهَاكِ حِجَابِه

* * *

أَيَّهَانُ فِرْعَوْنُ الْكَبِيْرُ بِقَبْرِه وَهُوَ الْعَزِيْزُ بِمُلْكِه وَجَنَابِه
أَفَمَا رَأَيْتَ أَمَامَهُ وَحْيَالَهُ حَرَسَ الْبَلَاطِ مُدْجَجًا بِحِرَابِه
وَرَأَيْتَ «أَنْبُيْسَ» فِي نَاوُوسِه مُتَحَفِّرًا، وَ«أَمُوْنَ» فِي مُحْرَابِه
هُوَ صَامِتٌ لَكِنَّهُ فِي صَمْتِه أَقْوَى وَأَبْلَغُ مِنْهُ فِي إِعْرَابِه
أَعْيَى الْفَنَاءَ فَلَمْ يَنْلُهُ وَلَمْ يَزَلْ مُتَالِقَ اللَّمَعَانِ نُوْرُ إِهَابِه

الروح حَائِمَةً عَلَى تَابُوتِهِ
مَضَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ وَهُوَ كَأَنَّهُ
فَتَرَى اللَّطَى مُتَنَفِّسًا بِطَعَامِهِ
وَكَأَنَّهُ فِي قَصْرِهِ لَا قَبْرِهِ
وَالْعِلْمُ مِنْ كُهُانِهِ، وَالْمَوْتُ مِنْ حُجَابِهِ
وَالْجِسْمُ رَطْبُ الْعُودِ فِي جِلْبَابِهِ
بِالْأَمْسِ حَطَّ هُنَاكَ يُمْنُ رِكَابِهِ
وَتَرَى الْحَبَابَ مُشْعِشًا بِشَرَابِهِ
مُتَرَبِّعٌ بِالْعِزِّ فَوْقَ وَثَابِهِ
حُرَّاسِهِ، وَالْدَّهْرُ مِنْ حُجَابِهِ

* * *

مَهْلًا بَنِي «التاميز» فِي غُلُوءِكُمْ
أَفْلَقْتُمْ فِي الْبَحْرِ حُوتَ عُبَابِهِ
وَتَلَلْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَرْشَ مُلُوكِهَا
وَسَحَقْتُمْ الشَّعْبَ الضَّعِيفَ بِجَوْرِكُمْ
فَدَعَا الْمُكْفَنَ أَمِنًا تَحْتَ الثَّرَى
فَالظُّلُمُ كَمْ يَجْنِي عَلَى أَرْبَابِهِ
وَدَعَرْتُمْ فِي الْبَرِّ قَسُورَ غَابِهِ
وَنَزَعْتُمْ فِي الْجَوِّ حُكْمَ عُقَابِهِ
وَوَضَعْتُمْ الْأَغْلَالَ فَوْقَ رِقَابِهِ
بَعْدَ الْجِهَادِ وَبَعْدَ طُولِ عَذَابِهِ

فتحي وصادق

هما الطياران العثمانيان اللذان سقطت بهما طائرتهما في ١٤ شباط (فبراير) ١٩١٤،
وقد حققا أول إنجاز في حقل الطيران لدولة شرقية.

يا سَمْحُ لا سُحْبُ سَقَّتْكِ عَهَادُهَا	فلقد أَسَلْتِ مِنَ الْعُيُونِ عَهَادَا
وَصَرَعْتَ مَنْ رَكِبَ الْجَمَادَ فَرَاضَهُ	والريحُ تُزِيدُ تَحْتَهُ إِزْبَادَا
خَاضَ الْفَضَاءَ وَدَاسَ مَتَنَ سَحَابِهِ	بِبَسَالَةٍ وَعَلَا السُّهَى أَوْ كَادَا
مَا رَوَّعَتْ شُهْبُ السَّمَاءِ فُؤَادَهُ	بَلْ طَافَ فِيهَا مُبْرِقًا رَعَادَا

* * *

يَا مَنْ سَمَوْتَ إِلَى الْعُلَى فَبَلَغْتَهُ	وَسَبَقْتَ أُسْرَابَ الطُّيُورِ طِرَادَا
خَفَقَتْ ضُلُوعُ الرِّيحِ تَحْتَكَ وَالتَّوْتُ	فَرَقَا وَكَمْ فَطَرْتَ عَلَيْكَ فُؤَادَا
حَتَّى كَبَبْتَ أَخْتَ النُّسُورِ كَلِيلَةً	فَهَوَيْتِ، لَا جُبْنَا وَلَا إِزْعَادَا
لَكِنْ عَلَاؤُكَ مَا ارْتَضَى بَطْنَ الثَّرَى	مَثْوًى وَآثَرَ فِي الْعَلَاءِ رُقَادَا
فَتَخَذْتَ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ سَوَابِحًا	كَفْنَا وَأَطْبَقَ السَّحَابِ وَسَادَا

نهاية العالم!

يَا مَرْحَبًا بِالْمَوْثِقِ الْمُعْتِقِ
مَوْثِقِ جِسْمِي فِي الْمَدَى الضَّيِّقِ
وَهَاكَ قَلْبًا نَابِضًا فَاخْنُقْ
مَا الْأَرْضُ إِلَّا جَنَّةُ الْأَحْمَقِ

وَالآنَ يَا مَوْتُ إِلَيَّ اقْتَرِبْ
مُعْتِقِ نَفْسِي مِنْ قُيُودِ الْأَسَى
هَاكَ شَبَابًا نَاضِرًا، فَاحْتَسِبْ
لَمْ يَبْقَ لِي فِي الْأَرْضِ مِنْ بُغْيَةٍ

* * *

مُرَاوِغٍ، أَوْ مُفْسِدٍ مُقْلِقِ
جَرَادَةِ الْعِيَّارِ وَالزَّنْبَقِ
وَلَيْسَ يُرْوِي غُلَّةَ الْمُسْتَقِي
أَقْوَى مِنَ الْفَرْقَةِ وَالْفَيْلِقِ
خَيْرٌ مِنَ الْكَاسِبِ مِنْ مُهْرَقِ
قَلْبِي وَدَعُهُ لَحْظَةً يَخْفِقِ
تَبْكِي عَلَى الْوَرْدِ، عَلَى الزَّنْبِقِ
مَا فِيهِ مِنْ زَاهٍ وَمِنْ رَيِّقِ
تَمَّتْ فَلَمْ آسَفْ وَلَمْ أَفْرِقِ
فَنَحْنُ بَعْدَ الْيَوْمِ لَنْ نَلْتَقِي

النَّاسُ؟ مَا فِيهِمْ سِوَى غَاوِرِ
الْمَالُ؟ لَيْسَ الْمَالُ عِنْدِي سِوَى
الشَّعْرِ؟ بَحْرٌ كَامِلٌ وَافِرٌ
السَّيْفُ؟ وَالْفَرْدُ بِطَيَارِ
الْعِلْمُ؟ وَالكَاسِبُ مِنْ مِعْوَلِ
الْحُبِّ؟ قَفْ يَا مَوْتُ وَاشْفِقْ عَلَى
دَعِ مُقْلَتِي تَبْكِي قُبَيْلَ النَّوَى
تَبْكِي عَلَى رَوْضِ غَرَامِ ذَوَى
لِي بُغْيَةٌ قَبْلَ الرَّدَى لَيْتَنَهَا
وَتِلْكَ أَنْ أَلْمَحَ مَحْبُوبَتِي

سيف أبي عبد الله

يَا سَيْفَ آخِرِ مَالِكٍ فِي دَوْلَةٍ الْفَخْرُ كُلُّ الْفَخْرِ فِي آثَارِهَا
لَيْتَ الْفَنَاءَ عَدَا عَلَيْكَ مُغَيَّبًا ذِكْرِي تَلَطُّحِ صَفْحَتَيْكَ بِعَارِهَا
أُولَى بِأَرْبَابِ الظُّبَى تَحْطِئُهَا أَوْ مَوْتُهُمْ بِالْعِزِّ تَحْتَ شَفَارِهَا
مَنْ طَرَحَهَا بِيَدِ الْعَدُوِّ بِذِلَّةٍ يَسْتَنْكِفُ الْحَقْدَاءُ مِنْ تَذْكَارِهَا

فنون الطبيعة

طبيعةٌ كأنَّها دُمِيَّةٌ
لَوْلَا هَوَاهَا مَا عَرَفْنَا الْهَوَى
وَلَا نَظَمْنَا الشُّعْرَ لَوْلَا نَدَى
وَلَا أَجَدْنَا النَّثْرَ لَوْلَا هَوَا
وَلَا عَرَفْنَا الْحُبَّ يَجْرِي دَمًا
لَوْلَا اعْتَنَاقُ الْبَانَ فِي أَيْكِهَا
صَنَعَ يَدَيَّ مُصَوِّرٍ مَاهِرٍ
وَلَا ابْتَسَمْنَا لِلْغَدِ الْحَاثِرِ
مُنْتَضِمٌ فِي سِلْكِهَا النَّاصِرِ
تَنْثُرُهُ بِحِكْمَةِ النَّائِرِ
فِي جِسْمِنَا بِالْجَوْهَرِ الطَّاهِرِ
وَقَبْلَهُ الطَّائِرِ لِلطَّائِرِ

على شاطئ «الريو» ...

وَالْجَاهِلِيَّةَ نَوْقَهَا وَخِيَامَهَا
نَحْيَا بِهَا مُتَلَمِّسِينَ ظِلَامَهَا
وَنَلْمُ مِنْ تِلْكَ الْعُصُورِ حُطَامَهَا
يَبْكِي الطُّلُولَ قُعُودَهَا وَقِيَامَهَا
هِيَ عَادَةٌ ضَمِنَ الْخُمُولُ دَوَامَهَا
نَبَّكَ «الدِّيَارَ وَقَدْ يَكُونُ خِتَامَهَا
بِمَقَامِهَا إِمَّا طَلَبْتَ زَمَامَهَا
نَفَحَ الْغَدِيرُ أَقَاحَهَا وَخَزَامَهَا
مِنْ تَرْبَةِ لَفَحَ الْهَجِيرِ رَغَامَهَا
أَقْدَاسَهَا وَمُحَطَّمًا أَصْنَامَهَا
فَالِلَامَ تَنْبِشُ فِي الْقُبُورِ عِظَامَهَا

خَلَّ الْبَدَاوَةَ رَمَحَهَا وَحَسَامَهَا
مَضَتْ الْعُصُورُ الْخَالِيَاتُ فَمَا لَنَا
أَيُّكُونُ عَصْرُ النُّورِ طَوْعَ بِنَانِنَا
مَاذَا تُفِيدُ الشَّعْرَ وَقِفَةُ شَاعِرِ
يَرِثِي، وَلَا طَلَّلَ هُنَاكَ وَإِنَّمَا
رَثَتْ قِصَائِدُهُ فَمَطْلِعُهَا «قَفَا
شَرِطُ الْبَلَاغَةِ وَضَعُ كُلِّ مَقَالَةٍ
أَتَكُونُ فِي الْفِرْدَوْسِ بَيْنَ أَزَاهِرِ
وَتَجِدُ فِي الصَّحْرَاءِ تَطْلُبُ زَهْرَةً
فَأَنْتَرُكَ تَقَالِيدَ الْقَدِيمِ مُهْدَمًا
بَلِي الْقَدِيمِ بَلَى عِظَامِ عِظَامِهِ

* * *

وَاحْفَظْ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ سَلَامَهَا
شَيْئًا وَقَدْ أَلَوْتَ بِلَادُكَ هَامَهَا
مُسْتَنْجِدًا حَوَارِنَهَا وَشَامَهَا
وَقَاكَ نِيرَانَ الْوَعَى وَسَهَامَهَا
لِتَرَى سَوَاكَ وَقِيدَهَا وَطَعَامَهَا
غَيْرَ الْأَلَى اسْتَلُّوا هُنَاكَ حُسَامَهَا

وَدَعَ السِّيَاسَةَ حَرْبَهَا وَسَلَامَهَا
شَطَّ الْمَزَارُ فَمَا صِيَاحُكَ نَافِعُ
أَتَكُونُ فَارِسَهَا وَتُحْجِمُ دُونَهَا
وَالْبَحْرُ بَيْنَكَ فِي الْجِهَادِ وَبَيْنَهَا
لِلَّهِ مِنْ حَرْبٍ تُثِيرُ ضِرَامَهَا
إِنَّ الْأَلَى اسْتَلُّوا هُنَا أَقْلَامَهَا

وَالْحَامِلُونَ عَلَى الصُّدُورِ كِلَامَهَا
هَذِي بِلَادُكَ مَا نَفَعْتَ قِيَامَهَا
هِيَ لَمْ تَزَلْ هِيَ رَغَمَ كُلِّ شَكِيَّةٍ
وَمَتَى رَأَيْتَ كَمَا تَرَى حُكَّامَهَا
وَأَتْرُكُ لِحُدَّامِ السِّيَاسَةِ أَمْرَهَا
وَدَوُّو السُّيُوفِ رَعَوْا هُنَاكَ ذِمَامَهَا
غَيْرُ الرُّوَاةِ عَنِ الصُّدُورِ كَلَامَهَا
فِي مَا نَطَمْتُ وَلَا بَعَثْتُ نِيَامَهَا
أَبَدًا تَسُوسُ ذِنَابُهَا أَغْنَامَهَا
فَاخُكُم بِفَوْضَى ضَعُضَتْ أَحْكَامَهَا
فَهِيَ الَّتِي اخْتَارَتْهُمْ خُدَّامَهَا
وَلَكِ الْيَرَاعَةُ فَارْعَ أَنْتَ ذِمَامَهَا

* * *

بَلَدُ الْبِدَائِعِ يَحْتَوِيكَ فَحْيِهِ
هَذَا مُقَامُ الْوَحْيِ فِي جَنَابَتِهِ
فَاسْتَوْحَ سَيْنَاءَ الْجَمَالِ قَصِيدَةً
هِيَ مِنْ عُيُونِ الشَّعْرِ نَزَلَتْ وَحْيَهَا
حَلَمَتْ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ نَفُوسَنَا
تَمْشِي الْفُصُولُ عَلَيْهِ مَشِيَّتَهَا وَمَا
يُغْوِيكَ فِيهِ الْبَحْرُ وَهُوَ مُلْمَلِمٌ
مَا أَنْ تَرَى فِي جَزْرِهِ إِحْجَامَهَا
وَيَرْوَعُكَ الْجَبَلُ الْأَشْمُ مُعَانِقًا
خَلَعَ الْخُلُودُ عَلَيْهِ ثَوْبَ مَهَابَةٍ
بِبِدَائِعِ عَزَّتْ عَلَى مَنْ رَامَهَا
جَعَلَتْ مَلَائِكَةُ الْخِيَالِ مُقَامَهَا
تُهْدِي الْجَمَالَ صَلَاتَهَا وَسَلَامَهَا
شِعْرُ الْعُيُونِ وَأَنْتَ صُغْتَ نِظَامَهَا
حَتَّى رَأَتْهُ فَحَقَّقَتْ أَحْلَامَهَا
بَرَحَ الرَّبِيعِ مُرَافِقًا أَيَّامَهَا
أُمُوجُهُ حَتَّى تَخَافَ زِحَامَهَا
حَتَّى تَرَى فِي مَدِّهِ إِقْدَامَهَا
سُحِبَ السَّمَاءُ مَطَاوِلًا أَجْرَامَهَا
سَجَدَ الزَّمَانُ بِرَغْمِهِ قُدَّامَهَا

* * *

أَمَّا شَوَاطِئُهُ فَكَمْ لِي وَقْفَةٌ
نَامَتْ عَلَى حِضْنِ الْمُحِيطِ فَأَيَّقَطَتْ
وَشَدَا لَهَا بِهَدِيرِهِ تَهْوِيْمَةً
فَعَلَى الْأَصِيلِ هُنَاكَ صُفْرَةٌ غَيْرَةٌ
فَتَجَسُّ فِي بَرْدِ الْأَثِيرِ دُمُوعَهَا
حَتَّى إِذَا هَبَطَ الظَّلَامُ وَبَخَّرَتْ
شَاهَدَتْ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ فِي وَصْفِهِ
أَفُقٌ مِنَ الْأَنْوَارِ شَعَّ عَلَى الثَّرَى
بِرَحَابِهَا مُسْتَنْزِلًا إِلَهَامَهَا
عَيْنَ الْمُحِيطِ فَلَنْ تَذُوقَ مَنَامَهَا
أَبَدًا يُوقِعُ مَوْجُهُ أَنْغَامَهَا
فَضَحَتْ عَوَاطِفَ شَمْسِهِ وَغَرَامَهَا
وَتَجَسُّ فِي بَرْدِ النَّسِيمِ سَقَامَهَا
أَنْفَاسُهُ فَوْقَ الرَّمَالِ ضِرَامَهَا
يُعْيِي الْبِرَاعَةَ أَنْ تَنَالَ مَرَامَهَا
وَدَّتْ سَمَاوُكَ لَوْ كَسَتْهُ غَمَامَهَا

فَتَظُنُّ نَفْسَكَ ضِمْناً عِقْدٍ لَّائِيٍّ
وَتَحَالُ فَوْقَ الْبَحْرِ مِنْ أَشْبَاحِهَا
لَمْ تَدْرِ هَلْ جَعَلْتَ بِهِ مِرَاتَهَا
تِلْكَ الشَّوَاطِئُ لَا عِدَمْتَ جَمَالَهَا
يَخْطِرُنَ فِي حُلَلِ الدَّلَالِ فَهَلْ رَأَتْ
مِنْ كُلِّ سَافِرَةٍ رَمَتْ فِي مُهْجَتِي
لَثَمَ النَّسِيمِ خُدُودَهَا فَتَلَثَّمَتْ
خَفَّتْ لِرِقَّةِ رُوجِهَا فَإِذَا خَطَّتْ
وَإِذَا مَشَتْ بَيْنَ الْعُيُونِ مَلَمَّةً
فُتِنَ الْمُحِيطُ كَمَا فُتِنْتُ بِحُسْنِهَا
رُوحِي فِدَى أَعْطَافِهَا يَا لَيْتَهَا

خَفِيتَ مَصَابِيحُ النُّجُومِ أَمَامَهَا
غِيْدًا يُدْغِدُغُ مَاؤُهُ أَجْسَامَهَا
أَمْ أَنَّهَا جَعَلْتَ بِهِ حَمَامَهَا؟
وَجَمَالَ غَادَاتٍ حَكِيْنٍ حَمَامَهَا
فِي الْبَيْدِ عَيْنُكَ رِيْمَهَا وَنَعَامَهَا؟
سَهْمًا فَأَقْعَدَهَا الْهَوَى وَأَقَامَهَا
لَكِنَّ مِنْ وَرْدِ الْحَيَاءِ لَثَامَهَا
فَوْقَ الْأَزَاهِرِ مَا لَوْتُ أَكْمَامَهَا
كَادَتْ جُفُونُكَ لَا تَعِي إِيْمَامَهَا
فَهَوَى يُقْبِلُ مَوْجُهُ أَقْدَامَهَا
عَطَفْتُ وَقَدْ عَطَفَ الدَّلَالُ قَوَامَهَا

* * *

يَا لِلرُّبُوعِ الزَّاهِيَّاتِ مُثِيرَةً
ذِكْرِي الْغَرِيبِ لِأَهْلِهِ وَبِلَادِهِ
ذِكْرِي بِنَفْسِي حَرَكْتَ أَلَامَهَا
فِي غُرْبَةٍ مَلَأَ الْجَوَى أَغْوَامَهَا

إلى بخیل

يَا حَرِيصًا عَلَى تَفَقُّدِ مَالِكَ كُنْ حَرِيصًا عَلَى تَفَقُّدِ حَالِكَ
فِيكَ بُخْلٌ بِالمَالِ لَا بِالمَعَاصِي لَيْتَهَا فِي يَدَيْكَ مِنْ بَعْضِ مَالِكَ
لَيْسَ بِدُعَا وَأَنْتَ تَقْضِي عَلَى نَفْسِكَ جُوعًا ضَنًْا بِمَا أَنْتَ مَالِكُ
أَنْ تَرَى الهَالِكِينَ جُوعًا وَلَا تَرَى ثِي لَطَاوٍ وَلَا تَرِقُّ لِهَالِكِ
لَيْسَ يَفِدُوكَ مَا جَمَعْتَ فَأَنْتَ الـ يَوْمَ أَوْ فِي غَدٍ إِلَى القَبْرِ سَالِكُ
أَنْتَ لَا شَيْءَ فِي الحَيَاةِ وَقَدْ يَنْ فَعُهَا الوَارِثُونَ بَعْدَ زَوَالِكَ

سليمان البستاني

وَوَقَى سِلَاحُكَ لَوْ يَذُودُ سِلَاحُ
عَجَزَ الطَّبِيبُ وَأَخْفَقَ الْجَرَّاحُ
حَتَّى نَقُولَ: حَبَا هُنَا مِصْبَاحُ
يَا رَوْضُ مَاتَ هَزَارُكَ الصَّدَّاحُ
وَلِمَنْ تُصَفِّقُ فَوْقَكَ الْأَدْوَا حُ؟
بَيْنَ الْقُبُورِ وَلَا الْأَفْحَاقُ أَفَاحُ
وَيَدُومُ فِيهِ جَمَالُهُ الْوَضَّاحُ
وَيَضُوعُ زَهْرُ الْحِكْمَةِ الْفَوَاحُ؟!

أَجْدَى كِفَاحُكَ لَوْ يُفِيدُ كِفَاحُ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ حَانَ حِينُ وَقُوعِهَا
مَا أَنْ نَقُولَ: أَضَاءَ مِصْبَاحُ هُنَا
يَا رَوْضُ لَا عَادَ الرَّبِيعُ وَزَهْوُهُ
فَلِمَنْ تَرَى يُصْغِي غَدِيرُكَ بَعْدَهُ؟
لَا الْوَرْدُ وَرَدُّ فِيكَ بَعْدَ نَزُولِهِ
أَيُضِيعُ رَوْضُ الْعِلْمِ بُسْتَانِيَّةُ
وَيَرَى سُلَيْمَانُ ضَجِيعًا فِي الثَّرَى

* * *

بِقُدُومِهِ حَيْثُ الْخُلُودُ مُتَّاحُ
أَصْمَى عُيُونُهُمُ الذِّكَا الْفَضَّاحُ
مَا لَا تَرَى الْأَحْدَاقُ وَهِيَ صَحَّاحُ
فَتَمَارَجَّتْ قَبْلَ اللَّقَا الْأَرْوَاحُ
مِنْهُ بَدَائِعُ، لَا تُنَالُ، مِلَاحُ
فِي أَصْلِهَا آيَا وَنِعَمَ وَشَاحُ!
رَاحُ وَلَا أَبْيَاتُهَا أَقْدَاحُ
فِيهَا وَكُلُّ صَحِيفَةٍ إِصْحَاحُ

«هومير» قُمْ رَحْبَ بِضَيْفِكَ وَاحْتِفَلْ
أَرْدَاهُ دَاؤُكَ وَهُوَ دَاءُ نَوَابِغِ
وَلَقَدْ تَرَى الْأَحْدَاقُ وَهِيَ مَرِيضَةٌ
وَشَى نُبُوغَكَ فِي الْحَيَاةِ نُبُوغُهُ
هَذِي بَدَائِعُكَ الْمِلَاحُ تَزِينُهَا
لُغَةُ الرَّسُولِ وَشَاحُهَا أَكْرَمُ بِهَا
سَكِرَتْ بِهَا الدُّنْيَا وَمَا كَلِمَاتُهَا
لَكِنْ هُنَالِكَ كُلُّ سَطْرِ سُورَةٍ

* * *

مَاتَ السِّيَاسِيُّ الْوَزِيرُ وَلَمْ يَمُتْ
وَعَلَى مَآثِرِهِ وَفِي آثَارِهِ
عَلِقَ السِّيَاسَةُ وَهِيَ بِكُرِّ حُرَّةٍ
تَالِلِهِ مَا تَنْسَى فِرْقُوقُ إِبَائِهِ
يَوْمَ اسْتَعَدَّتْ لِلْكَفَاحِ فَرَدَدَتْ
وَرَأَتْ سُلَيْمَانًا يَقُولُ وَنَفْسُهُ
أَنَا لَا أَظَاهِرُكُمْ عَلَى حَرْبٍ وَلَوْ
فَإِذَا تَشَبَّهْتُمْ بِخَوْضِ غِمَارِهَا

* * *

يَا قَصَرَ يَلْدِرَ أَنْتَ أَعْدَلُ شَاهِدٍ
مَرَّ الزَّمَانُ بِحُلُوهٍ وَبِمُرِّهِ
وَسَجَرْتَ بِالْأَيَّامِ حَتَّى بُدِّلَتْ
وَهَوَى عُلَاكَ بِمَنْ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ
وَلَوْ أَنَّ قَادَةَ بَابِكَ الْعَالِي وَعَوَا
وَإِذَا السَّفِينُ عَوَى حَجَى مُلَاجِهِ
يَا لِّلْسِيَاسَةِ! كَمْ لَهَا مِنْ نَشْوَةٍ!
وَلَوْ أَنَّ أَرْبَابَ السِّيَاسَةِ مِثْلُهُ

* * *

إِيَّاهُ رَيْبِبَ الْأَرْضِ وَابْنَ جِبَالِهِ
وَعِظَ الْوَرَى فَمَمَاتَ مِثْلُكَ مَلُوءُهُ
قَالُوا تَقَدَّمَتِ الشُّعُوبُ فَقُلْ لَهُمْ
مَا زَالَ قَتْلُ النَّاسِ شَرْعًا جَائِزًا
فِيمَ التَّنَازُعِ وَالْحَيَاةِ قَصِيرَةً
أَيْنَ التَّمَدُّنُ يَا دُعَاةَ وَجُودِهِ
لَمْ تَنْدَمِلْ فِيهَا جِرَاحُ شُعُوبِهَا

رَفَرَفَ بَرُوجُكَ فَالْخُلُودُ جَنَاحُ
عَبْرٍ، وَإِنْ سَكَتَ اللَّسَانُ، فَصَاحُ
هَذَا التَّقْدُمِ لِلْهَلَاكِ رَوَاحُ
لَا أَمْنُ نَوْْمُلُهُ وَلَا إِصْلَاحُ
وَجَمِيعُنَا فِي سَاحِهَا سَيَّاحُ؟!
وَالْأَرْضُ يَخْضِبُهَا الدَّمُ السَّحَاحُ؟!
إِلَّا لَتَخْلُفَهَا هُنَاكَ جِرَاحُ

سليمان البستاني

إِنْ كَانَ هَذَا فِي الْحَيَاةِ تَمَدُّناً فَلْيَهْنَأِ الْقَرَوِيُّ وَالْفَلَّاحُ

بطيرك العرب

مُتَدَفِّقًا بِنِسَائِهِ وَرِجَالِهِ
وَسَرَى الْأَسَى لَهُبًا عَلَى أَصَالِهِ
أَكْبَرُ أَسَاهُ وَلَا تَسْلُ عَنْ حَالِهِ
مُتَمَهِّلٌ وَالصَّمْتُ كُلُّ مَقَالِهِ
أَوْ أَنَّهُ يَمْشِي عَلَى آمَالِهِ
فَكَأَنَّمَا فِيهَا مَحَطُّ رِجَالِهِ
فِي شَيْخِ نَهْضَتِهِ فَتَى اسْتِقْلَالِهِ
مُتَبَرِّكًا مِنْهُ بِلَمْسِ ظِلَالِهِ
حَامِي السَّلَامِ شَهِيدَ طَوْلِ نِضَالِهِ

بَلَدٌ مَشَى بِسُهُولِهِ وَجِبَالِهِ
وَشَى لِيَالِيَهُ بَرِيقُ دُمُوعِهِ
وَإِذَا مَشَى وَهُوَ الْمُفْجَعُ بَابِنِهِ
فِي مَوَكِبِ كَالسَّيْلِ لَوْلَا أَنَّهُ
فَكَأَنَّهُ مُتَعَتَّرٌ بِدُمُوعِهِ
وَهُنَاكَ نَعَشُ فِي الْقُلُوبِ سَوَادُهُ
يَحْتَاطُ وَفْدُ الشَّبَابِ مُودَّعًا
وَتَرَى وَرَاءَ النَّعْشِ شَعْبًا خَاشِعًا
نَكَسَ السَّلَاحَ حُمَاتُهُ لَمَّا هَوَى

* * *

فِي النَّعْشِ يَغْمُرُهُ بَفِيضِ جَلَالِهِ
ذَرَانُهَا الْبِيضَاءُ بِيضُ فَعَالِهِ
بُسْطَتْ لآخر مَرَّةً بَنَوَالِهِ
كَانَتْ رِقَابُ النَّاسِ طَوَّعَ شِمَالِهِ
هِيَ بِسْمَةُ الْمَفْكُوكِ مِنْ أَغْلَالِهِ
شَفْتِيهِ آيَ الصَّفْحِ عَنْ مُغْتَالِهِ

فَمَنْ الْمُسَجَّى غَارِقًا بِسُبَاتِهِ
وَعَلَيْهِ مِنْ نُورِ الْقَدَاسَةِ هَالَةٌ
وَيَمِينُهُ مَمْدُودَةٌ فَكَأَنَّهَا
تِلْكَ الْيَمِينُ رَعَتْ صَدَاقَةَ عَاهِلِ
وَتَرَى عَلَى شَفْتِيهِ بِسْمَةَ رَاحَةٍ
أَوْ بِسْمَةَ الْمَصْلُوبِ حَامِلَةً عَلَى

* * *

المُطْعَمُ الطَّاوِينَ جُلَّ طَعَامِهِ وَالْوَاهِبُ البُؤْسَاءَ بَاقِيَ مَالِهِ
لَا أَطْلُبُ الرَّحْمَاتِ مِنْ رَبِّي لَهُ فَأَنَا عَلَى ثِقَةٍ بِحُسْنِ مَالِهِ
فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ أَبَرُّهُمْ بِعِيَالِهِ

خشوعاً أمام الموت

وَدَاءُ تُقَاسِيهِ وَمَوْتُ تُحَارِبُهُ
وَطَالَعُهُ رَهْنُ الْفَنَاءِ وَغَارِبُهُ
إِذَا وَزِنْتَ لَذَاتُهُ وَمَتَاعِبُهُ
عَلَيْكَ، وَتَبَقَى — مَا بَقِيَتْ — نَوَائِبُهُ
فَتَقْضِي، وَلَا يُقْضَى الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ
وَمَرْجِعُهُ هَذَا الثَّرَى وَغِيَاهِبُهُ!
مَبَاخِرُهُ الْأَرْوَاحُ وَالْهَوَلُ رَاهِبُهُ

نَصِيبُكَ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ مَصَائِبُهُ
تُسْرُ بِمَوْلُودٍ وَتَأْسَى لِرَاحِلٍ
لَعَمْرِكَ إِنَّ الْعَيْشَ صَفْقَةٌ خَاسِرٍ
يَمُرُّ لِمَامًا كَالْخَيَالِ صَفَاؤُهُ
وَتَقْضِي سَنَى الْعَمْرِ سَعْيًا لِمَطْلَبٍ
فَمَا أَحْقَرَ الدُّنْيَا وَأَشْقَى نَزِيلَهَا
خُشُوعًا أَمَامَ الْمَوْتِ فَالْمَوْتُ هَيْكَلُ

الغربة في الوطن

أَمْرِي عَجِيبٌ أَنَا الْغَرِيبُ
بَيْنَ الْأُمَمِ فَلَا عَلَمٌ
أَنْنَى أَمِيلُ وَلَا قَبِيلُ
أَلْقَى الْمَحَنَ وَلَا وَطَنُ

أَنَا الْغَرِيبُ فَلَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ
وَلَا لِي وَاثِقٌ إِذَا دَقَّ النَّفِيرُ مَشَى
وَمَنْ يَكُونُ غَرِيبًا فِي مَوَاطِنِهِ
صِرْنَا وَصَارَ جَمَانًا مَنْزِلًا خَرِبًا
تَمْضِي الْقُرُونُ وَلَا يَخْلِيهِ مُغْتَصِبُ
وَالْجَهْلُ وَالْدِّينُ وَالْإِهْمَالُ عَلَّتُهُ
فَيْنَا الدَّوَاءُ وَفَيْنَا الدَّاءُ، وَاعْجَبِي!
فَإِنْ طَمَحْنَا إِلَى الْعُلَيَاءِ نَطْلُبُهَا
إِيَّاهُ بَنِي وَطَنِي وَالنَّاسَ قَاطِبَةً
هَبُوا إِلَى الْمَجْدِ وَلْنُنْشِئْ لَنَا وَطَنًا
وَلْيَرْفَعْ الْعِزَّمَ وَالْأَعْمَالُ سُدَّتُهُ

* * *

فَلْتَحْيِ قَوْمِيَّةً كَانَتْ لَنَا نَسَبًا
وَمَنْ يَكُونُ بِلَا قَوْمٍ يَدِلُّ بِهِمْ
يَضُمُّ أَشْتَاتَنَا مَا فَاتَنَا النِّسَبُ
فَلَا يُشَرِّفُهُ دِينَ وَلَا لَقَبُ

دِينِي لِنَفْسِي وَلَكِنْ قَبْلَهُ وَطَنِي
تَاللَّهِ لَا نَرْتَقِي إِلَّا مَتَى اتَّحَدْتُ
وَلِنُكْرِمِ الْعِلْمَ أَيَّا كَانَ مَصْدَرُهُ
لَا دِينَ لِلْعِلْمِ فِي الدُّنْيَا وَلَا وَطَنُ
وَلْتَسْتَعِدْ لُغَةَ الضَّادِ الَّتِي دُعِيَتْ
إِنْ لَمْ نَكُنْ كُلُّنَا فِي أَصْلِنَا عَرَبًا
وَدِينُهُ الْوَفْقُ وَالْإِخْلَاصُ لَا الشَّغْبُ
تِلْكَ الْمَآزِينُ فِي الْأَوْطَانِ وَالْقَبَبُ
فَإِنَّهُ لِلتَّأَخِي وَالْعُلَى سَبَبُ
فَالْعِلْمُ كَالنُّورِ لَمْ تَحْصِرْ بِهِ تُرْبُ
أَمْ اللُّغَاتِ شَبَابًا بُرْدُهُ قَشِبُ
فَنَحْنُ تَحْتَ لَوَاهَا كُلُّنَا عَرَبُ

دولة الشعر أتعس الدول

خَافِقِ الْقَلْبِ سَاهِدِ الْمُقَلِّ!
لِعَبِّ رِيحِ هَبَّتْ عَلَى شُعَلِ
فَهُمَا فِيهِ عِلَّةُ الْعَلِّ
لَقَنَّ الطَّيْرَ نَوْحَةَ الثَّكَلِ
وَهُوَ مِنْهَا كَالشَّارِبِ الثَّمَلِ
وَيُغْنِي لِلْأَعْيُنِ النَّجَلِ
شِعْرُهُ فِيهِ مَضْرِبَ الْمَثَلِ
سَقَدِرَ رَهْنِ الشَّقَاءِ وَالْفَشَلِ
كَامِلٍ وَافِرٍ إِلَى رَمَلِ
يُغْنِيهِ مَا بِهَا عَنِ الْوَشَلِ
بِالْمَعَانِي تَزْهُو وَبِالْجَمَلِ
أَنْ تَقِيهِ نَوْمًا عَلَى السُّبُلِ
حُلًّا وَهُوَ مُعَدَّمُ الْحُلِّ
نَظَّمْتُ كَفَّهُ عَقُودَ حُلِي
فَاقْدُ الزَّهْوِ خَائِبُ الْأَمَلِ
وَهُوَ يَتْلُو آهًا مِنْ الْمَلِّ
شَاعِرُ الْأَمْسِ شَاعِرُ الْأَزَلِ
وَسَيَبْقَى كَذَا وَلَمْ يَزَلِ

يَا لَهُ فِي الرِّجَالِ مِنْ رَجُلٍ
يَلْعَبُ الْوَجْدُ فِي جَوَانِحِهِ
رَقَّ رُوحًا وَرَقَّ عَاطِفَةً
عَلَّمَ الْمَاءُ أَنْ يَبْنَى كَمَا
يَعْشَقُ الْحُسْنَ فَهُوَ خَمْرُهُ
يَتَغَنَّى بِالشَّعْرِ مُبْتَسِمًا
ذَاعَ فِي الْكَوْنِ صَيْتُهُ وَعَدَا
مَعَ هَذَا مَا زَالَ مُمْتَهَنَ الْـ
غَاصَ فِي أَبْحَرِ الْقَرِيضِ فَمَنْ
أَبْحَرَ رَحْبَةَ الْعُبَابِ وَلَمْ
كَمْ بَيُوتَ بَنَتْ قَرِيحَتُهُ
ظَنَّ فِيهَا الْغِنَى فَمَا قَدَّرَتْ
أَلْبَسَ الطَّرْسَ مِنْ خَوَاطِرِهِ
وَتَرَاهُ صِفَرَ الْيَدَيْنِ وَكَمْ
أَسْكَرَ النَّاسَ وَهُوَ بَيْنَهُمْ
هُمْ يَتْلُونَ آهٍ مِنْ طَرَبٍ
إِنَّ هَذَا، وَأَنْتَ تَعْرِفُهُ،
كَانَ أَشْقَى الْوَرَى بِحَالَتِهِ

هُوَ «أَعَشَى» يَنُوحُ مُكْتَتِبًا
هُوَ «قَيْسٌ» يُجِنُّ مِنْ وَلَه
حَكَمَ الدَّهْرُ أَنْ نَمَاشِيَه
فِي زَمَانٍ يُرِيدِي النُّبُوغَ وَلَا
شَقِيتُ حَالَه الْأَدِيبَ فَهَهَا
قُلْ مَعِيَ يَا حَلِيمٌ مِنْ لَهْفٍ:
و«زُهَيْرٌ» يَشْدُو عَلَى الْجَمَلِ
و«ابْنُ حَجْرٍ» يَبْكِي عَلَى الطَّلَلِ
فَلَكَ الْبَعْضُ مِنْ شَقَاهُ وَلِي
فَرَقَ بِالشَّعْرِ فِيهِ وَالزَّجَلِ
أَنَا أَجْفُو طَرَسِي إِلَى أَجَلِ
دَوْلَه الشَّعْرِ أَتَعَسُ الدُّوَلُ!

فأجابه حلیم دُموس بقصيدة يقول فيها:

فوزي، أَرَاكَ قَلِيلَ الصَّبْرِ مُبْتَلِسًا
أَتَهَجُرُ الشَّعْرَ وَالْعِشْرُونَ مُقْبِلَةً
أَيَّنَ الْمَفْرُ مِنْ الْأَشْعَارِ تَنْظُمُهَا
وَكَيْفَ يُمْسِكُ عَنْ نَظْمِ الْقَرِيضِ فَتَى
لَا، لَا، فَمَا أَنْتَ بَعْدَ الْيَوْمِ تَارِكُهُ
فَأَيْنَمَا سِرْتَ تَلَقَى الشَّعْرَ مُرْتَسِمًا
الشَّعْرُ مُوَهَّبَةٌ عَلِيَاءُ مَا هَبَطَتْ
مَا كُلُّ مَنْ قَالَ شِعْرًا كَانَ نَابِغَةً
فَابْسِمْ لِغُرِّ الْقَوَافِي فَهِيَ خَالِدَةٌ
وَدَوْلَه الشَّعْرِ نَبْنِيهَا عَلَى مَهَلٍ
وَفِي بَيَانِكَ شَكْوَى الْيَائِسِ الْوَجَلِ
كَأَنَّ فِي الشَّعْرِ دَاءً غَيْرَ مُرْتَجِلٍ؟
إِذَا دَعَتْكَ مَعَانِي الْأَعْيُنِ النُّجَلِ؟
يُذِيبُهُ الْحُبُّ بَيْنَ الْغَنَجِ وَالْكَحَلِ؟
إِنْ كُنْتَ فِي زَحَلَةٍ أَوْ صِرْتَ فِي زَحَلٍ
فِي نَاضِرِ الْغُصْنِ أَوْ فِي ذَابِلِ الْمُقَلِ
إِلَّا عَلَى نَابِغٍ فِي وَحْيِهِ تَمَلٍ
وَلَيْسَ كُلُّ كَلَامٍ مُضْرِبِ الْمَثَلِ
وَدَوْلَه الشَّعْرِ عِنْدِي أَعْظَمُ الدُّوَلِ!
وَدَوْلَه الْمَالِ تُفْنِيهَا عَلَى عَجَلٍ

وبعد أن تلقى فوزي المعلوف هذه القصيدة، عاد وأرسل إلى صاحبها الأبيات الآتية:

وَأَفْتُ، وَلَكِنْ عَلَى وَعْدٍ، فَكَانَ بِهَا
دَبَّتْ دَبِيبَ الطَّلَى فِي النَّفْسِ نَشْوَتُهَا
وَقُلْتُ بِالرَّغْمِ عَنْ بُؤْسٍ وَعَنْ نَكْدٍ:
«مَنْ» إِلَى أَمْلِي «سَلَوَى» إِلَى مَلِّي
فَخَلَفْتُ بِي مِيلَ الشَّارِبِ الثَّمَلِ
«مَا دَوْلَه الشَّعْرِ إِلَّا أَعْظَمُ الدُّوَلِ»

حمام على الشاطئ

وَقَفْتُ وَحَرُّ الشَّمْسِ مُضْطَرِمٌ
حُورِيَّةٌ فِي جَفْنِهَا حَوْرٌ
فَتَخَالُهَا حَوَاءٌ عَارِيَّةٌ
وَاصْطَفَتْ الْأَمْوَاجُ وَالْهَيَّةُ
فَتَغْلُغَلْتُ فِيهَا تَنْقَلُ مِنْ
وَكَأَنَّهَا وَالْمَاءُ كَلَّلَهُ
فِي الرُّوضِ زَنْبَقَةٌ يُحِيطُ بِهَا
تُقَلِّي بِهِ الْأَجْسَامُ فِي جَمْرٍ
مَكْشُوفَةً السَّاقَيْنِ وَالنَّخْرِ
لَوْلَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ سِتْرِ
لِعِنَاقِهَا، مَفْتُوحَةَ الصَّدْرِ
صَخْرٍ إِلَى سَطْحٍ إِلَى قَعْرِ
زَيْدٌ حِيَالَ بَيَاضِهَا النَّضْرِ
وَرَقُّ الرَّبِيعِ وَبَاسْمُ الزَّهْرِ

* * *

هُوَ مَشْهُدٌ مَا كَانَ أَجْمَلُهُ
أَشْرَكْتُ رُوحَكَ فِي سَنَاهُ فَلَا
وَأَحَبُّ ذِكْرَاهُ إِلَيَّ فِكْرِي
تَسْأَلُ عَنِ الْبَاقِي مِنَ الْأَمْرِ

خمر الأحاديث

كَمَا التَّفَّ حَوْلَ الصَّخْرِ عَاشِقُهُ النَّهْرُ
إِلَى عُنُقِهَا وَالْخَصْرُ يَدْفَعُهُ الْخَصْرُ
وَصَدْرًا كَلَيْنًا فِي اعْتِنَاقِهِمَا صَدْرُ
وَمَا زِلْتُ حَتَّى ذَابَ بِالْقُبْلِ النَّحْرُ
نُعَاسٌ فَمِنَّمَا نَوْمٌ مَنْ نَالَهُ السُّكْرُ
وَلَكِنْ أَحَادِيثُ الْغَرَامِ هِيَ الْخَمْرُ
فَمِنْ حُبِّنَا الْعُذْرِيَّ قَامَ لَنَا عُذْرُ

لَفَقْتُ ذِرَاعِي حَوْلَ خَصْرِ حَبِيبَتِي
فَمَالَتْ إِلَى عُنُقِي فَمِلْتُ بِلَهْفَةٍ
وَكُنَّا، وَجَسَمَانَا لَصِيقَانِ، وَاحِدًا
وَقَبَّلْتُهَا وَالنَّفْسُ مِنِّي مَشُوقَةٌ
وَمَا هِيَ إِلَّا بُرْهَةٌ فَمَشَى بِنَا
سَكْرُنَا وَلَمْ نَشْرَبْ مِنَ الْخَمْرِ جَرْعَةً
وَلَمْ نَخْشَ فِيمَا كَانَ لَوْمَةً لَائِمَ

ستذكرني

سَتَذْكُرْنِي يَوْمًا، فَتَذْكُرْنَا مَعًا
سَتَلْمَحُ عَنْ بُعْدِ حُنُوءِي رَاكِعًا
سَتَلْمَحُ عَيْنِي وَالْغَرَامُ يَقُودُهَا
وَكَفَّيْنِ كَمْ كَانَا إِطَارَكَ فِي الْهَوَى
سَتَذْكُرُ قُبْلَاتِي وَدَمْعِي وَلَهْفَتِي
وَجُمْلَةَ الْأَفَاطِ تَعَشَّقَتْ سَمْعَهَا
بِجِسْمَيْنِ فِي رُوحٍ، وَرُوحَيْنِ فِي جَسَدٍ
يُنَاجِيكَ مَكْسُورَ الْجَنَاحَيْنِ وَالْجَلَدِ
إِلَيْكَ وَفِي طَيَّاتِهَا مَدْمَعِي انْعَقَدَ
وَرَنْدَيْنِ كَمْ كَانَا لِرَأْسِكَ مُسْتَنَدَ
وَحُلُوْ أَبْتِسَامَاتٍ يُمَارِجُهَا الْكَمَدُ
وَقَبْلِي لَمْ يُسْرَرْ إِلَيْكَ بِهَا أَحَدُ

نجوى

مَا أَسْرَّ الْهَوَا إِلَيْكَ وَقَدْ مَرَّ
فَلَقَدْ شَمْتُهُ يَعْجُ بِأُذُنِي
هَلْ رَجَا مِنْكَ قُبْلَةً كَمْ تَمَنَّا
فَلَقَدْ شَمْتُهُ يُدَاعِبُ خَدِّي
عَلِيًّا، يَشْفِي سَقَامَ الْعَلِيلِ
كَ وَيَبْكِي فِي شَعْرِكَ الْمَسْدُولِ
هَذَا فُؤَادِي مَنْ تَغْرِكَ الْمَعْسُولِ؟
كَ حَيًّا، كَرَاغِبِ التَّقْبِيلِ

* * *

أَخْبِرِينِي أَمَا أَتَاكَ مَلَاكُ الْـ
هَامِسًا فِي جُفُونِكَ الْمُطْبَقَاتِ الْـ
حَامِلًا فِي يَمِينِهِ مِنْ دُمُوعِي
رَافِعًا قَلْبِي الْجَرِيحَ بِئْسَرَا
مُكْبِرًا مَا حَوَيْتَهُ مِنْ جَمَالِ
اصْفِرَارٍ لَكِنَّهُ لَوْنُ عَاجِ
حُبِّ فِي الْحُلْمِ بَعْدَ نَوْمِ الْعَذُولِ
هُدْبِ كَمْ أَنْتَ فِتْنَةٌ بِالنُّحُولِ
قَطَرَاتِ تَشْعُ فِي إِكْلِيلِ
هُ وَقَدْ سَالَ بِالدِّمِ الْمَطْلُولِ
هُوَ فَوْقَ الْجَمَالِ وَالتَّجْمِيلِ
سَكَبَ الشَّوْقُ فِيهِ كُلَّ جَمِيلِ

* * *

لِيَتَنَنِي ذَلِكَ الْمَلَاكُ فَأَدْعُو
كَ إِلَهًا لِلْعَالَمِ الْمَجْهُولِ

لُفَافَةُ التَّبَغِّ

تَذُوبُ كَمَا ذَابَ الْمُحِبُّ مِنَ الْوَجْدِ
لِمَا كَتَقْبِيلِ الْفَرَّاشَةِ لِلْوَرْدِ
تَضَوُّعٌ مِنْهَا الْحُبُّ فِي نَفْحَةِ النَّدِّ
وَتَبَعْتُ أَنْفَاسَ الصَّبَابَةِ عَنْ عَمْدِ
دُحَانَ لَطَى الْقَلْبَيْنِ يَصْعَدُ مِنْ وَقْدِ
تَحُولٍ عَلَى الْعَيْنَيْنِ نَارًا مِنَ الْحَقْدِ!

* * *

وَفِي نَفْسِهَا شَكٌّ بِصِدْقِي فِي وُدِّي
تَعَشَّقَتْهَا قَبْلِي، وَمَا زِلْتُ مِنْ بُعْدِي
وَصَدَّتْكَ عَنْ وَصْلِي، وَأَعَمَّتْكَ عَنْ صَدِّي
وَتَصَبَّرُ أَيَّامًا طَوَالًا عَلَى بُعْدِي
وَمَا نَالَنِي إِلَّا الَّذِي هَامَ بِي وَحْدِي
وَهَلْ يَسْتَوِي سَيْفَانِ لَوْ شِئْتُ فِي غَمْدِ؟

* * *

وَمَا أَنَا بَاقٍ فِي هَوَاكَ عَلَى عَهْدِي
وَمَا بُعْدُهَا يُشْقِي وَلَا قُرْبُهَا يُجْدِي
وَأِنْ تَكُ تُلْهِى الزَّاهِدِينَ عَنِ الزُّهْدِ

تَرَانِي دَوْمًا وَاللُّفَافَةُ فِي فَمِي
وَأَلْتَمَّهَا لَا لَثْمَةَ الْوَجْدِ إِنَّمَا
فَتَبَعْتُ حَوْلِي زَفْرَةً مِنْ دُخَانِهَا
فَتَحَسَّبْنَا صَبِيْنَ أَشْكُو لَهَا الْهَوَى
وَتَحَسَّبُ أَسْلَاكَ الدُّخَانِ حِيَالَنَا
فَيَا لَكَ فِي قَلْبِ الْمُحِبِّينِ غَيْرَةً

وَأِنْ أَنْسَ لَا أَنْسَى وَفُوفِي أَمَامَهَا
فَقَالَتْ: لِيَهْنِئَكَ الْهَوَى مِنْ لِفَافَةٍ
نَحِيلُهُ جِسْمَ الْبَسْتِكِ نُحُولُهَا
عَلَى بُعْدِهَا مَا كُنْتُ تَصْبِرُ سَاعَةً
فَدَعْنِي إِنِّي أَكْرَهُ الشَّرْكَ فِي الْهَوَى
فَلَا يَسْخُ الْقَلْبُ اثْنَتَيْنِ بِحُبِّهِ

فَقُلْتُ لَهَا: مَهْلًا فَمَا كُنْتُ مُذْنِبًا
أَتَعْرُوكَ مِنْ هَذِي الْلِفَافَةِ غَيْرَةً
وَلَمْ تُلْهِ قَلْبِي عَنْ هَوَاكِ دَقِيقَةً

وَلَكِنَّهَا إِنْ غَبَتْ كَانَتْ نَدِيمَتِي
أَرَاكَ خَيَالًا فِي ضَبَابِ دُخَانِهَا
أَرَى فِيهِ جِينًا شَكْلَ عَيْنِ جَمِيلَةٍ
وَإِنْ مَضَيْتُ سَهْدٌ وَطَالَ بَيْ الدُّجَى
وَإِنْ قُمْتُ أَسْتَوْجِي، أَمَدَّتْ قَرِيحَتِي
يُعَلِّمُنِي الْمَنْثُورُ نَثْرَ دُخَانِهَا
وَإِنْ تَجِدِي شَكًّا بِقَوْلِي فَجَرِّبِي
وَكَانَ دُخَانُ مُوَصِّلٌ قَبْلَاتِنَا
سَكَبْنَا بِهِ الرُّوحَيْنِ فَاعْتَنَقَا مَعَا

عَلَى رُغْمٍ أَنْ لَيْسَتْ تُعِيدُ وَلَا تُبْدِي
تَغْلَغَلَ مِنْ أَحْلَامِي الْبَيْضُ فِي بُرْدِ
وَالْمُسِ جِينًا فِيهِ تَكْوِيرَةُ النَّهْدِ
وَكَانَتْ بِقُرْبِي، مَا تَذَمَّرْتُ مِنْ سُهْدِي
فَحَلَّقْتُ فِي جَوِّ الْبَيَانِ بِلا جُهِدِ
وَيُوجِي لِي الْمَنْظُومُ مَا فِيهِ مِنْ عَقْدِ
بِوَاحِدَةٍ، تُمَسِّي وَعِنْدَكَ مَا عِنْدِي
عَلَى رُغْمٍ بُعْدِ الْخَدِّ مِنَّا عَنِ الْخَدِّ
يَحُومَانِ فِي جَوٍّ إِلَى اللَّهِ مُمْتَدِّ

من يدك هوت رُوحِي على قدميكِ!

تَقُولِينَ إِنِّي سَلَوْتُ، فَمِمَّنْ
أَلَمْ تَفْضَحِ النَّظَرَاتُ غَرَامِي
وَهَلْ يَخْتَفِي الْعَاشِقُ الْمُسْتَهَامُ
تَسَقَّطَتْ ذَلِكَ يَا قَاسِيَهُ؟
وَقَدْ أَصْبَحَتْ جَمْرَةً حَامِيَهُ؟
وَلَوْ لَيْسَ الظُّلْمَةُ الدَّاجِيَهُ؟

* * *

أَلَمْ تَشْعُرِي بِأَنِّي يَسِيرُ
وَلَوْ لَمْ يُبَرِّدْهُ ثَغْرِ النَّسِيمِ
أَلَمْ تَسْمَعِي نَبْضَاتِ فُؤَادِي
وَإِحْدَى يَدَيَّ تَشُدُّ عَلَيْهِ
لَيْنُ تَكُ رُوحُكَ تَصُبُّو إِلَيَّ
فَرُوحِي بِأَجْمَعِهَا مِنْ يَدَيْكَ
إِلَيْكَ مَعَ النَّسْمَةِ السَّارِيَهُ؟
لَأَحْرِقَ وَجَنَتِكَ الزَّاهِيَهُ!
أَنَافَتْ عَلَى الْعَدِّ فِي الثَّانِيَهُ؟
وَدَمَعِي تُمْسِكُهُ الثَّانِيَهُ!
وَكَانَ بِقَلْبِكَ لِي زَاوِيَهُ
عَلَى قَدَمَيْكَ هَوْتُ جَائِيَهُ!

* * *

أَنَا أَبَدًا لِلْهَوَى نَاشِرُ
وَإِنِّي سَكْرَانٌ مِنْ حَمْرِهِ
وَقَلْبِي بِهِ غَائِصٌ فِي بُحُورِ
وَقَدْ جَزْتُ فِيهِ السَّحَابَ الْبَعِيدِ
إِذَا كُنْتُ أَنْتَ لَهُ طَاوِيَهُ!
إِذَا كُنْتُ مِنْ حَمْرِهِ صَاحِيَهُ!
إِذَا كَانَ قَلْبُكَ فِي سَاقِيَهُ!
إِذَا كُنْتُ فِيهِ عَلَى رَاسِيَهُ!

فؤادي

لَوْ أَنَّ فُؤَادِي بَاقٍ مَعِي
عَلَى مَضْجَعِ بُلٍّ بِالْأَدْمَعِ
يُنْمِتُ تَمْتِمَةَ الْمُوَلَعِ
كَطِفْلٍ تَشَبَّثَ بِالْمُرْضِعِ
فَأَصْبَحَ مِنْ سُكْرِهِ لَا يَبْعِي؟
فَلَا تُنْكِرِيهِ وَلَا تَدَّعِي
وَنَبْضَتُهُ غَاظَلَتْ مَسْمَعِي!

تَحَمَّلْتُ وَقَعَ النُّوَى وَالصُّدُودِ
وَلَكِنَّهُ نَامَ فِي مُقْلَتَيْكَ
وَقَدْ كَانَ قَبْلًا عَلَى شَفَتَيْكَ
تَشَبَّثَ بِالنَّغْرِ فَهُوَ عَلَيْهِ
فَمَاذَا تَرَشَّفَ مِنْ مَرَشْفَيْكَ
أَرَاهُ هُنَالِكَ بَيْنَ الْجُفُونِ
فَرَعَشْتُهُ دَاعَبْتَ نَاطِرِي

الحُبُّ الصَّامِتُ

تَبْجُوحُ لَهَا بِالْحُبِّ عَيْنَايَ إِنَّمَا
وَأَرْقُبُ عَيْنَيْهَا عَسَى بِهِمَا أَرَى
فَفِي عَيْنَيْهَا مَا فِي عَيْنُونِي مِنَ اللَّطَى
وَلَكِنْ لِمَاذَا لَا تَبْجُوحُ وَلَمْ أَبْحُ
خَلِيلِي ذَاكَ الصَّمْتُ مِنْ أَدَبِ الْهَوَى
لِسَانِي يَسْتَحْيِي فَلَا يَتَكَلَّمُ
شَرَارَةَ حُبٍّ، صَحَّ مَا أَتَوْهُمْ!
وَذَاكَ دَلِيلُ الْحُبِّ إِنْ كَتَمَ الْفَمُ
وَقَدْ عَلِمْتُ مَا بِي كَمَا أَنَا أَعْلَمُ؟
وَمِنْ أَدَبِ الْعُشَّاقِ ذَاكَ التَّكْتُمُ

بائعة الهوى

فِي بُرْدَتَيْهَا كُلُّ غَضٍّ جَمِيلٍ
وَيْلًا، فَضَلْتُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ
صِفْنِي، وَقُلْ هَلْ لِقَوَامِي مَثِيلُ؟
لَكِنَّهُ لِكُلِّ رِيحٍ يَمِيلُ!
رَجْرَاجَةٌ فِي ظِلِّ جَفْنِي الْكَحِيلِ
عَيْنُكَ، لَا رَحْمَةً فِيهَا تَسِيلُ!
يَغْفُو بِهِ الصَّبُّ بَلِيلٌ بَلِيلُ
عَلَيْهِ مِنْ رُوحِكَ ظِلُّ ظَلِيلِ
فِي نَبْضِهِ شَدْوٌ وَفِيهِ عَوِيلُ
فَهُوَ عَلَى كُلِّ السَّوَاقِي نَزِيلُ!

غَانِيَةٌ مِنْ بَائِعَاتِ الْهَوَى
كَانَ عَلَيْهَا حُسْنُهَا فِي الصَّبَى
مَالَتْ، وَقَالَتْ: أَنْتَ يَا شَاعِرِي
أَلَيْسَ غَضًّا؟ قُلْتُ: لَمْ تُخْطِئِي
قَالَتْ: وَعَيْنِي؟ إِنَّهَا نَجْمَةٌ
قُلْتُ: جَمَادٌ كَنُجُومِ الدُّجَى
قَالَتْ: وَشَعْرِي كَالدُّجَى فَاحِمْ
فَقُلْتُ: لَمْ يَسُودْ لَوْ لَمْ يَقَعْ
قَالَتْ: وَقَلْبِي؟ إِنَّهُ طَائِرُ
فَقُلْتُ: حَقًّا إِنَّهُ طَائِرُ

* * *

مَا خُلِقْتَ كَغَيْرِهَا لِلدُّبُولِ
مُشَاعَةً لِكُلِّ بَاعٍ يَطُولُ!
قُلْتُ: لَوْ الْعِفَّةُ فِيهِ تَجُولُ!
أَلَقْتُ بِهِ الشَّهْوَةَ بَيْنَ الْوُحُولِ!
لَاثِمُهُ يَعْصُرُ مِنْهُ الشَّمُولُ
يَوْمًا فَلَا أَعْلَمُ مَاذَا أَقُولُ!
تُؤْخَذُ مِنْ سِحْرِ جَمَالِي الْعُقُولُ

قَالَتْ: وَخَدِّي؟ إِنَّهُ وَرْدَةٌ
قُلْتُ: هُوَ الْوَرْدَةُ، لَكِنَّهَا
قَالَتْ: وَجِسْمِي؟ فَهُوَ ذَوْبُ النَّدَى
كَانَ نَقِيًّا كَالنَّدَى، إِنَّمَا
قَالَتْ: وَتَغْرِي؟ عِنَبٌ أَحْمَرُ
قُلْتُ: وَلَكِنِّي مَا ذُقْتُهُ
قَالَتْ: وَلَكِنِّي فَتَانَةٌ

ديوان فوزي المعلوم

فَقُلْتُ: حُسْنُ الْجِسْمِ فَنَ، وَمَا مِنْ دَوْلَةٍ لِلْحُسْنِ إِلَّا تَدُولُ
غَيْرَ جَمَالِ النَّفْسِ بَيْنَ الْوَرَى فَهُوَ جَمَالٌ خَالِدٌ لَا يَزُولُ

* * *

فَيَا لَهُ مِنْ مَجْلِسٍ لِلْهَوَى مَا كَانَ فِيهِ غَيْرُ قَالٍ وَقِيلُ!

على منارة بيروت

خَفِّفِي يَا هُمُومَ عَنْ كَبِيدِي
يَا لَأَمْسِي كَمْ فِيهِ مِنْ غُصَصٍ!
مَا أَمَرَ الذُّكْرَى وَأَعَذَّبَهَا!
وَهِيَ كَالْخَمْرِ كُلَّمَا عَتَقَتْ
فَكَفَّانِي مَا فُتَّ مِنْ جَلِيدِي
وَلْيَوْمِي ... فَمَا يُكِنُّ غَدِي؟
فَهِيَ بِنْتُ الصَّفَاءِ وَالنَّكِدِ
طَفَحَتْ بِالذَّائِدِ الْجُدِ

* * *

يَا لَيَوْمَ عَلَى «الْمَنَارَةِ» لَمْ
إِذَا وَقَفْنَا أَنَا وَقَاتِنَتِي
حَضَنْتُهُ شَمْسُ مُفَارِقَةٍ
تَنْفُضُ النُّورَ مِنْ ذَوَائِبِهَا
نُفْثَ تَهْوِي فِي الْيَمِّ مُبْقِيَةً
صُفْرَةً لَمْ يَطُلْ تَأَلَّقَهَا
شَعْلَةً فِي الْمِيَاهِ طَافِيَةً
يُنْسِنِيهِ تَبَاعُدُ الْأَمَدِ!
فِي أَصِيلِ الْبَحْرِ مُبْتَرِدِ
رَمَقْتَنَا بِنَظَرَةِ الْحَسَدِ
نَهَبًا فَوْقَ فِضَّةِ الزَّبَدِ
خَلَفَهَا صُفْرَةً مِنَ الْكَمَدِ
فَتَلَاشَتْ فِي زُرْقَةِ الْجَلَدِ!
أَتَرَاهَا مَوْصُولَةَ الْوَقْدِ؟

* * *

وَهُنَا الْمَوْجُ ثَارَ ثَائِرُهُ
زَجَرَ الصَّخْرَ جَزْرُهُ فَمَشَى
وَاثِبًا وَثَبَةً كَأَنَّ بِهَا
فَإِذَا بِالْهَدِيرِ يَحْبُكُهُ
يَا لَمَوْجَ كَالْجَيْشِ مُحْتَشِدِ!
مَدُّهُ نَاشِطًا إِلَى الْمَدَدِ
أَسَدًا هَاوِيًّا عَلَى أَسَدِ!
مَا عَلَى الْمَاءِ مَاجٍ مِنْ زَرَدِ!

* * *

فَاصْمُتِي يَا مِيَاهُ وَاتَّيْدِي	هَاجَنَاحُ الْمَسَاءِ يَحْضُنُنَا
صَمْتُهُ إِنَّ صَمْتَهُ أَبَدِي!	هُوَ رَبُّ السُّكُونِ فَاخْتَرِمِي
صَعَّدَتْ زَفْرَةً وَلَمْ تَزِدْ؟	أَفَلَمْ تَشْعُرِي بِنَسْمَتِهِ
لَبِسَتْ مِنْهُ أَرْوَاعَ الْبُرْدِ؟	أَوَلَمْ تُبْصِرِي جَوَانِحَنَا
فَوْقَ فَحْمِ الْعُيُونِ مُتَّقِدِ	كَتَمْتَ مَا نَكُنُّ مِنْ وَلِهِ
وَوَجَمْنَاهُ لَمْ نُبِدْ أَوْ نُعِدِ	فَحَسِبْنَاهُ فِي أَضَالِعِنَا
وَلِسَانٍ لَدَيْهِ مُنْعَقِدِ	بِشِفَاهِ عَلَيْهِ مُطَبِّقَةِ
جُمْلَةٍ لَمْ أَجِدْ وَلَمْ تَجِدِ!	فَإِذَا مَا طَلَبْتُ أَوْ طَلَبْتُ
وَضَعْتُهُ الشِّفَاهُ فِي رَصْدِ؟	نَطَقَ الْقَلْبُ بِالْهَوَى، فَلَمَّا

* * *

سَنَحَتْ مَرَّةً وَلَمْ تَعُدِ!	يَا لَهَا فُرْصَةً مُضَيَّعَةً
شِئْتُ طَوَّقْتُ جِيدَهَا بِيَدِي	كُنْتُ فِيهَا قُرْبَ السَّعَادَةِ لَوْ
أَمَّا ظَامِنًا وَلَمْ يَرِدِ	كُنْتُ كَالطَّيْرِ عِنْدَ سَاقِيَةِ

شعلة العذاب

١

لغز الوجود

بُرْعَمَ الزَّهَرِ مَا وَجِدْتَ لِتَبْقَى
بَلْ لِيَمْضِيَ بِكَ الْخَرِيفُ
هَذِهِ حَالُنَا خَلَقْنَا لِنَشْقَى
وَلِتَقْضِيَ بِنَا الْحُتُوفُ

* * *

وَإِلَى أَيِّ عَالَمٍ سَوْفَ نَقْضِي؟
عَثُّ بَعْدَ الرَّدَى؟ وَفِي أَيِّ أَرْضٍ؟
كُلُّ حُكْمٍ فِيهِ يَتَوَلَّى لِنَقْضِ!
وَأَنَا حَرْتُ كَيْفَ يَوْمِي سَيَمْضِي
بِجُدُودٍ قَضَوْا كَمَا سَوْفَ نَقْضِي
فِي كَيْانٍ نُعْطِيهِ بَعْضًا لِبَعْضٍ
فَجَنَيْنَا مِنْ بَذَرِهِ كُلَّ غَضٍّ
جَوْهَرِي فِي مَصِيرِهِ غَيْرُ عَرْضِي!
مَمُوتٍ تَمْشِي بِكُلِّ حَبِيٍّ وَبُغْضِي!
فَأَقْضِ مَا شِئْتَ لَسْتُ وَحْدَكَ تَقْضِي

كَيْفَ جِئْنَا الدُّنْيَا؟ وَمِنْ أَيْنَ جِئْنَا؟
هَلْ حَيِينَا قَبْلَ الْوُجُودِ؟ وَهَلْ نُبْ
هُوَ كُنْهُ الْحَيَاةِ مَا زَالَ سِرًّا
كَيْفَ أَجْلُو غَدِي؟ وَأَدْرِكُ أَمْسِي؟
قَدْ حَيِينَا قَبْلَ الْوِلَادَةِ لَكِنْ
وَسَنَحْيَا بَعْدَ الرَّدَى بِبَنِينَا
كَانَ بَذَرُ النَّبَاتِ نَبْتًا وَأَدْوَى
ذَاكَ شَأْنِي بِالْجِسْمِ فِي الْأَرْضِ لَكِنْ
إِنِّي شَاعِرٌ بِرُوحِي فَوْقَ الْـ
إِيهِ يَا مَوْتُ! لَنْ تَمَسَّ خُلُودِي

وَإِذَا كُنْتَ مَالِكًا أَمَرَ رُوحِي مِثْلَمَا أَنْتَ مَالِكٌ أَمَرَ نَبْضِي
فَأَنَا خَالِدٌ بِشَعْرِي عَلَى رُغْدٍ سَمَ زَمَانٍ عَنْ قِيَمَةِ الشَّعْرِ يُغْضِي!

٢

فِي هَيْكَلِ الذُّكْرَى

ارْجِعِي الْقَهْقَرَى أَيَا ذِكْرِيَاتِي
إِنَّ قَلْبِي ذَوَى وَمَاتَ
وَأَنَا عَائِشٌ بِمَاضِي حَيَاتِي
فَهُوَ حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ

* * *

لَيْسَ فِكْرِي إِلَّا صَحَائِفَ بَيَضَا ءَ عَلَيْهَا الذُّكْرَى تَخْطُ وَتَمْحُو
فَأَرَى فِيهِ مِنْ حَوَادِثِ أَيَا مِي مَا لَمْ يَفْتَهُ مَتْنٌ وَشَرَحُ
مَعْرُضٌ لِلرُّسُومِ فِيهِ غُمُوضٌ وَوُضُوحٌ وَفِيهِ حُسْنٌ وَقُبْحُ
إِنَّمَا تَلَمَّحُ الصِّفَاءُ عَلَيْهِ لَمَحَةً وَالصِّفَاءُ فِي الْعَيْشِ لَمَحُ
وَتَجَسُّ الْعَذَابَ بِالنَّارِ مَحْفُوفُ رَا فَحَازِرُ مَا زَالَ لِلْجَمْرِ لَفْحُ
طَوَيْتَ بِسَمَةِ لِيُنْشَرَ دَمْعُ وَخَبَتَ بِهِجَةً لِيَلْمَعَ جُرْحُ!
هُوَ سَفَرٌ قَلْبَتُهُ فَإِذَا بِي وَفُؤَادِي فِي دَفْتِنِهِ يَسْحُ
يَا فُؤَادِي وَأَنْتَ مِنِّي كُلِّي لَيْتَ حُكْمِي يَوْمًا عَلَيْكَ يَصْحُ
أَنْتَ مَهْدُ الْمُنَى وَهَذِي بَقَايَا هَا أَكْبَتَ عَلَيْكَ تَغْفُو وَتَصْحُو
خِلَقَةُ الْحُبِّ أَنْتَ كُلُّ حَفُوقِ فِيكَ حُبٌّ، وَكُلُّ بُغْضِكَ صَفْحُ
فِيكَ كَنْزٌ لَمْ تُعْطِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُ، وَالْحُسْنُ لَا يَزَالُ يُلْحُ
إِنَّ جُودَ الْفَقِيرِ بِالنَّزْرِ جُودُ حَيْثُ جُودُ الْغَنِيِّ بِالْوَفْرِ شَحُ!

بَيْنَ الْمَهْدِ وَاللَّحْدِ

بِسْمَةِ الْأَهْلِ يَوْمَ نُوِلِدُ حَوْلِي
عَبْرَاتٍ عَلَى الْمُهُودِ
دَمْعَةَ الْأَهْلِ يَوْمَ نُلْحَدُ سِيْلِي
بَسْمَاتٍ عَلَى اللَّحُودِ

* * *

لَيْتَ شِعْرِي! لِمَنْ بَسَمْتُ؟ أَلَا
وَعَلَى مَنْ بَكَيْتُمْ؟ أَعَلَى الرَّأ
يُوَلَدُ الطِّفْلُ لِلْعَذَابِ، وَهَذِي
بَيْنَ أَوْجَاعِ أُمِّهِ دَخَلَ الْمَهْدُ
بَشَّرْتُ بِالْجَنِينِ وَهِيَ نَذِيرُ
مَا وَلِيدُ الْأَلَامِ غَيْرَ أَسِيرِ
ضَاقَتِ الْأَرْضُ فِي الْحَيَاةِ عَلَيْهِ
إِنَّ مَنْ جَاءَ مَهْدَهُ مُكْرَهَا يَمُوتُ
وَهُوَ إِنْ مَاتَ لَيْسَ يَخْسَرُ إِلَّا
مَنْ يَمُوتُ أَلْفَ مَرَّةٍ كُلَّ يَوْمٍ
مَلَأَ الشُّوْكَ رَوْضَ عَيْشِكَ فَانْزَعُ
«تَعَبُ كُلِّهَا الْحَيَاةُ» وَهَذَا

تِي إِلَى الْكَوْنِ مُسْتَهْلًا بِعَبْرِهِ!
جَلَّ عَنْهُ، وَزَادَهُ مِنْهُ حَسْرَهُ
سُنَّةَ الدَّهْرِ وَقِي الطِّفْلُ شَرَّهُ
دَ وَبَيْنَ الْأَوْجَاعِ يَدْخُلُ قَبْرَهُ
لَا بَشِيرُ فَالْسُّوءُ يَمْلَأُ عُمْرَهُ
وَالرَّدَى وَحْدَهُ يُحَرِّرُ أَسْرَهُ
وَكَفَّتُهُ فِي الْمَوْتِ أَضْيَقُ حُفْرَهُ
ضَيَّ إِلَى لَحْدِهِ غَدًا وَهُوَ مُكْرَهُ!
عَيْشَ بُؤْسٍ فَكَيْفَ يَرْهَبُ خُسْرَهُ؟
وَهُوَ حَيٌّ يَسْتَهْوِي الْمَوْتَ مَرَّةً!
كُلُّ أَشْوَاكِهِ لَتَبْلُغَ زَهْرَهُ
كُلُّ مَا قَالَ فَيَلْسُوفُ الْمَعْرَةَ!

يَوْمُ مَوْلِي

إِيهِ يَا يَوْمَ مَوْلِي هَجَّتْ فَيًّا
خَيْرَ عِبْرَةٍ، وَشَرَّ ذِكْرَى
لَجَنِينَ رَأَى الْوُجُودَ فَحَيًّا
فِيكَ فَجْرَهُ، لَا كَانَ فَجْرًا

* * *

فَوْقَ حِضْنِ الرَّبِيعِ فِي مَثَلِ هَذَا الـ
خَلَعْتُ وَرْدَةً عَلَى الْأَرْضِ عَنْهَا
فَإِذَا بِالْدُمُوعِ فِي بُرْدَتَيْهَا
لَمْ تَكُنْ وَرْدَةً وَلَكِنْ وَلِيدًا
حَضَنْتُهُ الْحَيَاةُ تَحْتَ سِتَارِ الـ
دَغْدَغِ الطُّهْرِ مُقْلَنِيهِ فَكَانَتْ
وَكَسَتْ قُبْلَةَ الْحَيَاءِ مُحَيًّا
وَرَمَى الْحُبُّ نَبْلَةً فِي حَنَائِيَا
ذَاكَ عَهْدُ الْحَيَاةِ بِي قَادِمٌ إِلـ
ذَرَفَتْ عَيْنُهُ لَدَى رُؤْيَةِ النُّو
نَطَقَتْ عَنْهُ وَهُوَ عَيٌّ، فَكَانَتْ
هَكَذَا الزَّهْرُ يَسْكُبُ الدَّمْعَ عِنْدَ الـ

يَوْمَ بَعْدَ الْعِشْرِينَ مِنْ نَوَارِهِ
كُمَّهَا، وَالْدُّجَى صَرِيْعٌ اخْتِصَارِهِ
يَمْسَحُ الصُّبْحُ مَاءَهَا بِإِزَارِهِ
نَسِيَ الْفَجْرُ نَجْمَةً فِي عِذَارِهِ
لَيْلٍ طِفْلًا لَمْ يُكْسَ غَيْرَ سِتَارِهِ
سَازِجَاتُ الْأَلْحَاطِ مِنْ آثَارِهِ
هُ فَابْقَتْ نَضَارَةً فِي نُضَارِهِ
هُ فَكَانَتْ لِلشُّعْرِ بَدْءَ شَرَارِهِ
مَهْدٍ لَمْ يَدِرْ لَيْلُهُ مِنْ نَهَارِهِ
رُ دُمُوعًا جَرَتْ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ
أَوَّلَ الْمُفْصِحَاتِ عَنْ أَفْكَارِهِ
فَجْرٍ مُسْتَقْبَلًا سَنَى أَنْوَارِهِ!

بَسَمَاتُ

أَيُّهَا الْوَرْدُ وَالضُّحَى فَضَّ كُمَّكَ
كَيْفَ تَبْكِي بِلَا سَبَبٍ
لَمْ تُثِرْ بَعْدَ شَقْوَةِ الْعُمْرِ غَمَّكَ
فَالْتَشَكِّي إِذْنِ عَجَبٍ

* * *

ضِ فَيَمْحُو قُطُوبَهَا بِافْتِرَارِهِ؟	كَيْفَ تَبْكِي وَالْفَجْرُ يَفْتَرُّ لِلْأَرِّ
فِيهِ مِنْ صَفْوِهِ وَمِنْ أَكْدَارِهِ!	مَا عَرَفْتَ الْوُجُودَ بَعْدُ، وَلَا مَا
لِلْأَمَانِيِّ بَسْمَةً فِي اخْضِرَارِهِ!	مَا عَرَفْتَ الرَّبِيعَ غَضًا جَمِيلًا
كَ خُيُوطِ الْحَيَاةِ مِنْ أَنْوَارِهِ!	لَا وَلَا الصَّيْفَ نَاسِجًا فِي مُحْيَا
رِي يُوشِي عَقِيقَهُ بِنُضَارِهِ!	مَا رَأَيْتَ الْخَرِيفَ فِي صَدْرِكَ الْعَا
كَ بِدَمْعٍ يَنْهَلُ فِي أَمْطَارِهِ!	وَالشِّتَاءَ الْحَزِينَ يَغْسِلُ سَاقِيَهُ
عِطْرُ أَنْفَاسِهِ دَلِيلُ مَزَارِهِ!	مَا عَرَفْتَ النَّسِيمَ رُوحًا خَفِيًّا
هِ وَهَمْسُ السَّمَاءِ مِنْ مِزْمَارِهِ	تَمْتَمَاتُ الْغَرَامِ تُسْمَعُ مِنْ فِيهِ
سَاكِبًا رُوحَهُ عَلَى أَزْهَارِهِ!	دَغْدَغَ الرُّوْضِ عَابِتًا بِنَدَاهُ
هِ وَيَهْوِي عَلَيْكَ بَعْدَ مَطَارِهِ!	مَا رَأَيْتَ الْفَرَاشَ يَطْوِي جَنَاحَيْهِ
ثُمَّ يَلْوِي بِنَشْوَةٍ مِنْ عَقَارِهِ	يَتَمَلَّى مِنْ كَأْسِ كُمَّكَ نَهْلًا
قُبْلًا لَمْ تَزَلْ تَوُجُّ بِنَارِهِ!	قَلْبُهُ ذَائِبٌ عَلَى شَفَتَيْهِ

دموع

ذَاكَ مَا وَشَوْشَتْهُ لِلزَّهْرِ نَفْسِي
نَقَلْتُهُ لَهُ النَّسَمَ
فَأَتَانِي الْجَوَابُ فِي مِثْلِ هَمْسٍ
وَشَحَّتْهُ يَدُ الْأَلَمِ

* * *

نَظَرْتُ وَرْدَةً إِلَيَّ وَقَالَتْ:
فَلِمَ آذَا تَلُومُنِي وَبُكَائِي
وَيْحَ نَفْسِي مِنَ الرَّبِيعِ فَفِيهِ
وَمِنَ الصَّيْفِ فَهُوَ يُحْرِقُ أَكْثَرًا
كَيْفَ أَهْوَى الْخَرِيفَ يَنْثُرُ أَوْرًا
وَأَحْبُ الشُّتَاءَ يُفْنِي بَقَايَا
وَالنَّسِيمُ الْبَلِيلُ؟ هَلْ هُوَ إِلَّا
يَتَصَابَى حَتَّى أَسْلَمَهُ نَفْ
ثُمَّ يَرْتَدُّ وَهُوَ رِيحٌ فَيُرْدِي—
وَالْفَرَّاشُ الْجَمِيلُ يَمْلَأُ جَفْنِي
يَرْتَمِي خَلْسَةً عَلَيَّ فَيَجْنِي
يَتَخَطَّى هَذِي وَتِلْكَ مِنَ الْوَرْدِ

أَنْتَ مِثْلِي فِي الْكَوْنِ لِلْكَوْنِ كَارِهِ
كَانَ مِمَّا أَخَافُ مِنْ أخطَارِهِ؟
أُجْتَنِّي بَيْنَ آسِهِ وَبَهَارِهِ!
مِي عَلَى رُغْمِهَا بِلَفْحَةِ نَارِهِ!
قِي وَيَكْشُو أَخْضَارَهَا بِاصْفَرَارِهِ
ي عَلَى ثُلْجِهِ وَفِي تَيَّارِهِ؟
قَاتِلِي بَيْنَ وَصْلِهِ وَنِفَارِهِ؟
سِي فَيَجْفُو وَالْعِطْرُ مِلءُ إِزَارِهِ!
بَنِي وَيَمْشِي مُهَيِّمًا لِانْتِصَارِهِ!
فَتْنَةٌ وَهُوَ حَائِمٌ فِي جَوَارِهِ!
قُبْلَةٌ وَهُوَ مُمَعِنٌ بِفِرَارِهِ!
دِ قِيَا طُولَ لَوْعَتِي فِي انْتِظَارِهِ!

مَرْحَبًا بِالْعَذَابِ يُلْتَهُمُ الْعَيْدُ
مُشْبِعًا نَهْمَةً إِلَى الدَّمِ حَرَى
نَ الْتِهَامًا وَيَنْهَشُ الْقَلْبَ نَهْشًا
نَاقِعًا غُلَّةً إِلَى الدَّمْعِ عَطَشًا

الحُبُّ يَكْبُرُ بِالصَّدُودِ

تُحِبُّ النَّسِيمَ الْعَلِيلُ غُصُونُ زَهَا سَاقُهَا
فَكَيْفَ يَمِيلُ تَمِيلُ وَتَهْتَرُ أَوْرَاقُهَا
فَيَنْفُرُ مِنْهَا
وَيَهْوَى النَّسِيمُ الزَّهْرُ وَيَهْفُو إِلَى ضَمِّهَا
فَيَحْمِلُ قَطَرَ السَّحَرِ بَلِيلًا إِلَى كُمْهَا
فَتُقْصِيهِ عَنْهَا

* * *

لَآنَ الزُّهُورَ تُحِبُّ جَنَاحَ الْفَرَاشِ الْجَمِيلُ
فَمِنْ مُقْلَتَيْهَا يَهْبُ عَلَيْهِ عَبِيرُ بَلِيلُ
تَضْوَعُ وَجَدًا
وَلَكِنْ فَرَاشُ الْأَثِيرِ يُحِبُّ الْأَثِيرَ فَحَسْبُ
يُعَانِقُهُ وَيَطِيرُ يَقُودُ جَنَاحِيهِ حُبُّ
فَيُجْزِيهِ صَدًا

* * *

فَلَيْسَ الْأَثِيرُ خَلِيًّا فَقَدْ تَيَمَّمَتْهُ النُّجُومُ
فَصَعَّدَ نَحْوَ الثُّرَيَّا مِنَ الصَّدْرِ نَارَ الْغُيُومِ
فَذَابَتْ دُمُوعًا

وَشْهَبُ السَّمَاءِ زَاهِيَهُ تُحِبُّ الْخِصَمَّ الْعَمِيقُ
فَتَهْوِي بِهِ عَارِيَهُ تَصِيحُ: الْحَرِيقُ الْحَرِيقُ
وَلَيْسَ سَمِيعَا

* * *

وَلَا عَجَبٌ فَالْخِصَمُ يُحِبُّ، وَلَكِنْ صُخُورُ
يُقَبِّلُ مِنْهَا الْقَدَمُ فَتُبْعِدُهُ فَيَتُورُ
بِلَوْعَةٍ صَبَّ
فَيَالِكَ حَالَهُ غُبْنِ غَدَتْ مِثْلَهَا حَالَتِي
أَحِبُّ الَّتِي نَبَذْتَنِي وَلَسْتُ أَحِبُّ الَّتِي
تَمُوتُ بِحُبِّي!

لماذا هجرتُ الوطن

لَوْلَا مُنَى فِي الصَّدْرِ وَالْفِجْرُ
يَلْهُو بِهِنَّ الدَّهْرُ
هُنَا كَلَّهَوِ الْهَوَا
مَا كُنْتُ أَرْضَى النَّوَى
مُضْطَر�

عَنْ مَوْطِنٍ مُسْتَحَبِّ فِي الْقَلْبِ
رَشَفْتُ فِيهِ الْحُبُّ
رَضَعْتُ مِنْهُ الْحَيَاةَ
أَوْحَى لِي الْآيَاتُ
فِي الشَّعْرِ

جَمَالُهُ بَاهِرُ سَاجِرُ
وَرَبْعُهُ زَاهِرُ
عَذْبُ الْهَوَا وَالْمَاءِ
زَاهِي السَّمَاءِ وَالْمَسَاءِ
وَالْفَجْرِ

شوق على شوق!

أَخِي وَالزَّمَانُ ضَنِينُ بِغَيْرِ الْغَضَا
أَثَرَتْ بِقَلْبِي الْحَنِينُ لِعَهْدٍ مَضَى
رَتَعْنَا بِهِ آمِنِينَ صُرُوفَ الْقَضَا
وَمَا زِلْتُ مِنْ بَعْدِهِ
أَنُوحُ عَلَى بُعْدِهِ
وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ السَّلَامَ

* * *

فَيَا شَوْقُ دَعْنِي أَنَامُ كَفَانِي سَهَرُ
وَيَا لَيْلُ أَقْصِ الظَّلَامَ وَأَدْنِ السَّحَرُ
أَنَا بَعْضُ هَذِي الْأَنَامِ وَلَسْتُ حَاجِرُ
كَفَى مُقْلَتِي حَنِينُ
وَقَلْبِي لَظَى وَأَنِينُ
وَجِسْمِي جَوَى وَسَقَامُ

* * *

كَلَانَا هُنَا يَا ظُلُومُ دُجَى فِي دُجَى
عَلَى أَنَّ فِيكَ نُجُومُ وَمَا لِي رَجَا
وَلَيْلُكَ إِمَّا يَدُومُ وَمَهْمَا دَجَا

ديوان فوزي المعلوم

يُلَاقِي أَخِيرًا صَبَاحُ
نَدِيَّ الْهَوَى وَالْجَنَاحُ
وَمَا لِي صَبَاحُ يُرَامُ

* * *

بَلَوْتُ حَيَاةَ الْعَذَابِ حَيَاةَ الْأَلَمِ
فَكَانَتْ مُنَايَ الْعَذَابِ حَيَالًا أَلَمُ
وَلَوْلَا وَفَاءُ الْكِتَابِ وَوَصْلُ الْقَلَمِ
لَمَا خِلْتُ أَنِّي حَيٌّ
وَأَنَّ عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ
يُسَمِّيهِ قَوْمِي غَرَامًا!

قُبْلُ الْقَمَرِ

قُومِي فَأَحْدِاقُ الظَّلَامِ غَارَتْ لِفَرْطِ عَنَا السَّهَرِ
وَيَدُ السَّحَرِ
تَفْتَضُ أَزْرَارَ الْغَمَامِ
وَقَمُ الْكِمَامِ
رَطْبُ تَشْعُ بِهِ الدُّرُ
وَعَلَى الْغَدِيرِ بَدَا أَثَرُ فِي الْمَاءِ مِنْ قُبْلِ الْقَمَرِ

* * *

قُومِي فَأَنْفَاسُ الزَّهَرِ تُحْيِي الْمُنَى، وَشَدَا الْخُزَامِ
يُوجِي الْغَرَامِ
وَعِنَا الْهَزَارِ عَلَى الشَّجَرِ
يَنْفِي الْكَدَرِ
وَسَنَى ذُكَاءَ عَلَى الْأَكَامِ
يَدْعُو النَّيَامَ إِلَى الْقِيَامِ فَالنَّوْمُ فِي شَرْعِي حَرَامِ

* * *

حُلْمُ الدُّجَى الْفِضِّي ذَابَ عِنْدَ الضُّحَى ذَوْبَ الظُّلَمِ
وَكَمَا أَلَمُ
وَلَى، كَذَا وَلَى الضَّبَابُ

ديوان فوزي المعلوف

فَوْقَ الْهَضَابِ
أَمْلُ الْمَنَامِ هُوَ الْأَلَمُ
فَدَعِيَ الْفِرَاشَ بِلَا نَدَمٍ وَإِلَى هُنَا خُفِّي الْقَدَمُ

* * *

فَهُنَا تَرَيْنَ عَلَى الْأَكْمِ فَجْرًا كَأَحْلَامِ الشَّبَابِ
غَضَّ الْإِهَابِ
مُلِئْتُ نَوَاطِرُهُ ضَرَمَ
أَمَّا النَّسَمُ
فِيهِ، فَبَارِدَةٌ عَذَابِ
وَعَلَى أُنَامِلِهِ خِضَابُ مَنْ مَسَحَ دَمْعَ ذَوِي الْعَذَابِ

أَوَاهِ غَرْنَاطَةِ

غَرْنَاطَةُ، أَوَاهُ غَرْنَاطَةُ! لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَكَ مِنْ صَوْلَتِكَ!
هَلْ نَهْرُكَ الْجَارِي سِوَى أَدْمَعٍ تَجْرِي عَلَى مَا دَالَ مِنْ دَوْلَتِكَ؟
وَالنَّسْمَةُ الْغَادِيَةُ الرَّائِحَةَ
هَلْ هِيَ إِلَّا زَفَرَةٌ نَائِحَةٌ؟
مَا عُدْتُ فِي النَّهْرِ كَسُلْطَانَةٍ جَبَّهْتُهَا فِي مَائِهِ سَاطِعَةً
لِلْقُبَّةِ الْحَمْرَاءِ فِي تَاجِهَا وَهَجٌ، وَلِلْمِثْدَنَةِ اللَّامِعَةِ
أَهْ عَلَى أَمْجَادِكِ الضَّائِعَةِ
شَيَّعْتُهَا بِالنَّظَرَةِ الدَّامِعَةِ!

* * *

مَرَّتْ مُرُورَ النَّهْرِ فِي جَرِيهِ وَأَوْرَثَتْكَ النَّوْحَ فِي عُزْلَتِكَ
غَرْنَاطَةُ، أَوَاهُ غَرْنَاطَةُ! لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَكَ مِنْ صَوْلَتِكَ!
لِلَّهِ حَمْرَاؤُكَ، تَحْسُو الْأَسَى وَحِيدَةً فِي الرُّوضَةِ الْخَالِيَةِ!
لَمْ يَبْقَ لَا زَهْوَةٌ نِدْمَانِهَا وَلَا صَدَى أَعْيَادِهَا الْمَاضِيَةِ
وَلَمْ يَعْذُ لِلْحُبِّ فِيهَا أُنَيْنٌ يَنْقُلُهُ الْعُودُ عَنِ الْعَاشِقِينَ
بَيْنَا يُجِيلُ الْبَدْرُ الْأَحَاطُ بِأَهْتَةٍ فِي الْمَرْمَرِ اللَّامِعِ
بَيْنَ أَرِيحِ الزَّهْرِ الْمُنتَشِي وَبَيْنَ شَدْوِ الْبُلْبُلِ السَّاجِعِ
وَقَصْرُهَا الْخَاوِي بِأَرْجَائِهِ

كَمْ غَمَرَ اللَّيْلَ بِضَوْضَائِهِ!
إِذِ الْجَوَارِي خَاطِرَاتٌ عَلَى سَجَادِهِ جَارِيَةً جَارِيَةً
أَرْوَعُ مَا فِي الشَّرْقِ مِنْ رَقْصِهِ تَنْسُجُهُ أَقْدَامُهَا الْعَارِيَّةُ

* * *

غَرْنَاطَةٌ، أَوَاهُ غَرْنَاطَةٌ! مَا أَنْتِ إِلَّا خَرَبٌ قَابِعَةٌ
تَحْمِلُ أَشْرَابَ السُّنُونُو إِلَى أَفْرِيقِيَا أَنْبَاءَكَ الْفَاجِعَةَ
هُنَاكَ أَبْنَاؤُكَ مِنْ بَأْسِهِمْ
بَاكُونَ، لَا بَاكُونَ مِنْ يَأْسِهِمْ
عَرَوْا مِنَ الْأَعْمَادِ بَيْضَ الظُّبَى وَشَحُّوا الْخَيْلَ بَيْضَ السُّرُوجِ
وَيَمَّمُوا الْبَحْرَ فَلَمَّا بَدَتْ مِنْكَ عَلَى الْأُفُقِ جِبَالُ الثُّلُوجِ
خَرُّوا عَلَى أَوْجِهِمْ رَاكِعِينَ
وَزَفَرُوا مِنْ قَهْرِهِمْ صَارِخِينَ:
«غَرْنَاطَةٌ، أَوَاهُ غَرْنَاطَةٌ! ضَعِيتِ فَيَا لِلْعِظَمِ الضَّائِعَةِ!»
فَيَزْفُرُ الْمَوْجُ وَيَبْكِي لَهُمْ حِينَ يَرَى أَعْيُنُهُمْ دَامِعَةً!

نحن في نيسان

نَحْنُ فِي شَهْرِ الْهَوَى شَهْرِ الْأَمَلِ
نَحْنُ فِي نَيْسَانَ
كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ، مَا فِي الْجَلْدِ يَسْتَنْبِئُ الْوَجْدَ، يَسْتَدْعِي الْهَوَى
حَرَقَةُ النِّجْمِ، أَنْيُنُ الزَّبَدِ نَفْحَةُ الزَّهْرِ وَأَنْفَاسُ الْهَوَا

فَتَعَالَى نَحْتَسِي حَمَرَ الْقُبْلِ
تَحَتَ ظِلِّ الْبَبَانِ
وَأَنْظُرِي الْغُصْنَ عَلَى الْغُصَنِ التَّوَى هَكَذَا خَضْرُكَ تَلْوِيهِ يَدِي
وَالْهَوَا فِي مَبْسَمِ الزَّهْرِ هَوَى رَاشِفًا مِثْلِي لَمَى الثُّغْرِ النَّدِي

وَأَنْظُرِي النِّجْمَ عَلَى الرُّوضِ أَطْلُ
نَاعِيسَ الْأَجْفَانِ
سَاكِبًا فَوْقَ صُدُورِ الزَّنْبِقِ قُبْلَاتِ الْوَجْدِ، قُبْلَاتِي أَنَا
سَاهِي الطَّرْفِ أَلَيْفَ الْقَلْقِ خَافِقَ الْأَضْلَاعِ حُبًّا مِثْلَنَا

وَأَسْمِعِي الْجَدُولَ لِلْعُشْبِ نَقْلُ

أَنْتَ الْوَلَهَانُ
شَاكِيًا مِثْلِي تَبَارِيحَ الْعَنَا حَاوِيًا مِثْلَكَ كُلَّ الرَّوْنَقِ
وَأَنْظُرِي اللَّيْلَ تَرَدَّى الشَّجْنَا مَاسِحًا مَذْمَعُهُ بِالْوَرَقِ

هناكَ تَحْطِي بِمَيِّ!

أَيَا هَزَارَ الْغَدِيرِ حُبَيْتَ بَيْنَ الطُّيُورِ مِنْ نَائِحٍ مُسْتَثِيرِ
بِالنُّوحِ عَطَفَ الزُّهُورِ
حَيًّا إِلَهُ صَبَاحَكَ
أَخَذْتَ عَنِّي نَوَاحَكَ خُذْهُ وَهَاتِ جَنَاحَكَ
أَطْرُبُ بِهِ فِي الْأَثِيرِ
لَا غَلَ قَيْدُ سَرَاحَكَ

* * *

أَطْرُبُ بِهِ فِي السَّدِيمِ مَا فَوْقَ مَتْنِ النَّسِيمِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْغُيُومِ
أَصُوعُ نَثَرَ النُّجُومِ
أَصُوعُ دَمْعِ الْغَمَامَةِ
عَقْدًا أُجِيدُ نِظَامَهُ لِجِدِّ خَيْرِ حَمَامَةٍ
تَحُورُ دُونَ الرِّيمِ
مَنْ الْبَيَانَ زِمَامَهُ

* * *

وَيَا هُوَا لُبْنَانِ يَا عَاطِرَ الْأَرْدَانِ أَوْحِ إِلَيَّ الْمَعَانِي
فِي أَجْمَلِ الْأَلْحَانِ
رَقِيقَةً كَخُطُورِكَ

شَذِيَّةٌ كَعَبِيرِكَ نَدِيَّةٌ كَزَفِيرِكَ
تَهْدِي شُعُورَ جَنَانِي
لِظَبْيَةٍ بِشُعُورِكَ

* * *

وَيَا كِتَابِي الْخَجُولَا جُزْ الْمُحِيطَ الطَّوِيلَا حَتَّى تَجِيءَ النَّيْلَا
فَقِفْ هُنَاكَ قَلِيلَا
هُنَاكَ تَحْظَى بِمَيَّ!
ذَاتِ الْيَرَاعِ الْأَبْيِّ ذَاتِ الْبَيَانِ الطَّلِي
مَنْ تَبَعْتُ السَّلْسَبِيلَا
بِكُلِّ مَعْنَى جَلِي

* * *

وَإِنْ حَظَيْتَ لَدَيْهَا بِالسَّحْرِ مِنْ نَاطِرَيْهَا فَانْظُرْ مَلِيًّا إِلَيْهَا
وَاقْرَأْ سَلَامِي عَلَيْهَا
قُلْ لِلْمَلِيحَةِ عَنِّي
لَا زِلْتَ اللَّطْفَ غُضِنَ عَلَيْهِ رُوحِي تُغْنِي
وَأَنْعَمْ بِلَثْمِ يَدَيْهَا
فَأَنْتَ أَسْعَدُ مِنِّي

باقه الزهر

سِيرِي إِلَى مَعْبُودَتِي الرَّاهِرَةِ
يَا بَاقَةَ الزُّهْرِ
عَاطِرَةً تُهْدِي إِلَى عَاطِرَةِ
عَطَرًا إِلَى عَطَرِ

* * *

سَوْفَ تَنَامِينَ عَلَى صَدْرِهَا يَهْنِكَ هَذَا الْحَظُّ لَوْ كَانَ لِي!
وَتَنْهَلِينَ الشَّهْدَ مِنْ ثَغْرِهَا يَا نَعَمَ ذَاكَ الثُّغْرُ مِنْ مَنْهَلِ!
وَتَحْمِلِينَ الْعِطَرَ مِنْ شَعْرِهَا وَغَيْرَ عِبءِ الْهَمِّ لَمْ أَحْمِلِ
يَهْنِكَ هَذَا الْحَظُّ، لَوْ كَانَ لِي
فِي حُبِّهَا الْمُغْضِلِ
لَا الْمَوْتُ أَخْشَاهُ، وَلَا الْآخِرَةُ
أَوْ سَاعَةُ الْحَشْرِ
فَسَاعَةٌ مَعَ ظَبْيَتِي السَّاحِرَةِ
تُغْنِي عَنِ الْعُمَرِ

* * *

يَا بَاقَتِي كُونِي لَهَا مِنْ يَدِي رِسَالَةً صَامِتَةً نَاطِقَةً
يُرْوِي النَّدَى فِي جِيدِكَ الْأَعْيَدِ عَنْ أَدْمُعِي السَّابِقَةِ اللَّاحِقَةِ

وَتَرْمُزُ الْوَرْدَةُ عَنْ مَوْقِدٍ فِي أَضْلَعِي نِيرَانُهُ عَالِقَهُ
رِسَالَةً صَامِتَةً نَاطِقَةً
عَنْ صَبُوتِي الصَّادِقَةِ
تَقْرَأُ فِي أَوْرَاقِهَا النَّاضِرَةَ
عَنْ أَمَلِي النَّضِرِ
تُنَبِّئُهَا الزُّنْبَقَةُ الطَّاهِرَةَ
عَنْ حُبِّي الْعُذْرِي

* * *

وَجِينَ تُلْقِي فِي الدُّجَى رَأْسَهَا فَوْقَ الْفَرَاشِ الْخَافِقِ الْحَالِمِ
فَدَغْدَغِي بِالْعِطْرِ إِحْسَاسَهَا وَلَيَنْتَشِرُ فِي جِسْمِهَا النَّاعِمِ
وَقَبْلِي بِالسَّرِّ أَنْفَاسَهَا وَحَدَّقِي فِي حُسْنِهَا الْحَائِمِ
فَوْقَ الْفَرَاشِ الْخَافِقِ الْحَالِمِ
كَقَلْبِي الْهَائِمِ
حَمَلْتِ مِنِّي دَمْعَتِي الصَّادِرَةَ
مَعَ زَفَرَةِ الصَّدْرِ
فَفِيكَ رُوحِي نَحْوَهَا طَائِرَةً
بَيْنَ الشَّدَا تَجْرِي

* * *

لَكِنْ مَتَى صَفَّقَ طَيْرُ الْكَرَى عِنْدَ ارْتِقَاصِ الْفَجْرِ بَيْنَ الْغُيُومِ
وَلَا مَسَ النُّورُ جُفُونَ الْوَرَى وَأَنْعَشَ الزَّهْرَةَ قَطْرُ النَّسِيمِ
لَا تَبْسِمِي مِثْلَ زُهورِ الثَّرَى وَأَنْطَفِئِي مِثْلَ شُعَاعِ النُّجُومِ
عِنْدَ ارْتِقَاصِ الْفَجْرِ بَيْنَ الْغُيُومِ
فَوْقَ الْكُرُومِ
وَلَتَنْطَوِ أَوْرَاقُكِ النَّاشِرَةَ
ذِيلاً مِنَ النَّشْرِ
ذَابِلَةً كَالْمُقْلَةِ الْفَاتِرَةَ

فِي مَطْلَعِ الْفَجْرِ

* * *

عَسَى تَرَى فِيكَ فَتَاةَ الدَّلَالِ أُمْتُوَلَّةٌ مَمْلُوءَةٌ بِالْعِبَرِ
تُنْبِئُهَا أَنَّ شَبَابَ الْجَمَالِ يَذْبُلُ يَوْمًا كَذُبُولِ الزَّهْرِ
وَالْحُسْنُ حُسْنُ الْجِسْمِ رَهْنُ الزَّوَالِ لَا عَيْنَ يُبْقِي بَعْدَهُ أَوْ أَثَرَ
أُمْتُوَلَّةٌ مَمْلُوءَةٌ بِالْعِبَرِ
لِمَنْ فَكَّرَ
يَا حَبِّذَا لَوْ أَنَّهَا شَاعِرَةٌ
بِذَلِكَ الْأَمْرِ
لَكِنَّهَا جَائِرَةٌ نَافِرَةٌ
إِنَّ هِيَ لَا تَذَرِي

لو ...

لَوْ يَعْلَمُ الزَّهْرُ حَبِيبَ الْهَوَا
مَا فِي فُؤَادِي مِنْ جِرَاحِ الْهَوَى
لَذَوَّبَ الْبَلْسَمَ مِنْ عَطْرِهِ
فِيهِ لِيَشْفِيَنِي ...

وَلَوْ رَأَى الْبُلْبُلُ بَيْنَ الْغُصُونِ
نَارَ ضُلُوعِي فِي مِيَاهِ الْجُفُونِ
لَحَوَّلَ الْمُحْزَنَ مِنْ شِعْرِهِ
شَدَّوًا يُسَلِّينِي

وَلَوْ دَرَى الْبَدْرُ عَشِيقَ النُّجُومِ
بِمَا أَلَاقِي مِنْ فُنُونِ الْهُمُومِ
لَأَهْمَلَ الشَّهَبَ، وَمِنْ قَصْرِهِ
أَهْوَى يُوَأْسِينِي

وَلَوْ دَرَى الْفَجْرُ بِأَنِّي أَرْقُ

ديوان فوزي المعلوف

مِنْ نِسْمَةِ الْفَجْرِ لِطُولِ الْأَرْقُ
لَبَلَّلَ الْأَضْلُعَ مِنْ قَطْرِهِ
وَرَاخَ يَبْكِينِي

الكفارة

كَمْ مُدْنَفٍ فِي الْهَوَى عَلِيلٍ مِثْلِي صَبَا لِلْهَوَا الْعَلِيلِ!
وَهَلْ عَلِيلٌ مِنْ الْهَوَا
يَشْفِي عَلِيلٌ مِنْ الْهَوَى؟!!

فَاحْمِلِي يَا صَبَا نَفَحَاتِ الصَّبَى لِفُؤَادِ صَبَا
لِلْوُجُوهِ الصَّبَاحُ بَاحُ بِهِوَاهُ الصَّبَاحُ

وَكَمْ مُدِلٍّ مِنَ الدَّلَالِ خَلَّفَ قَلْبِي بِلَا دَلِيلِ
لَمْ أَذَرِ يُمْنَايَ مِنْ شِمَالِي كَأَنَّنِي شَارِبُ الشَّمُولِ

* * *

الْوَرْدُ وَالشُّوكُ فِي الْجَنَانِ وَوَحْدُهُ الشُّوكُ فِي جَنَانِي
وَيْلُ الْجَنَانِ مِمَّا جَنَى
شُوكُ الْجَنَانِ بِئْسَ الْجَنَى!

لِمَ تَصَبَّيْ لِمَا؟ لَوْ تَرَوَى لِمَا عَلَّ يَوْمًا لَمَى

وَاسْتَخَارَ الْعَذَابَ

ذَا بَ فِي الشَّفَاهِ الْعَذَابَ

وَهُوَ كَرَّبِي قَاصٍ وَدَانٍ غَرَامُهُ دِيدَنِي وَدِينِي
يَا لَيْتَهُ مَنَّ بِالْحَنَانِ مَا زَالَ سَلَوَايَ فِي حَنِينِي

يَا جَفَنِي الْجَارِي الْعُيُونِ وَقُيْتُ مِنْ فِتْنَةِ الْعُيُونِ
فَأَمْسَحَ عُيُونُ جَرْتُ دَمًا
وَأَخَذَ عُيُونُ تِلْكَ الدُّمَى
كُلُّ قَلْبٍ هَوَى فِي فَخَاخِ الْهَوَى هُوَ لَمْ يَزَلْ هُوَ
مُذْنِبًا ذَا جُنَاحٍ نَاحٍ مَعَ ذَاتِ الْجُنَاحِ
وَمَنْ يُفْتَشِ عَنِ الْأَمَانِي وَعَنْ حَبِيبٍ لَهُ أَمِينٍ
يَعُدُّ بِيَأْسٍ مِلءَ الْجَنَانِ وَيَعْتَرِيهِ شَبُهَ الْجُنُونِ

كَمْ عَاذِلٌ لَمْ بِالْكَلامِ فَأَتَّخَنَ الْقَلْبَ بِالْكِلامِ!
مَاذَا كَلَامٌ بَلْ سَمٌ
هَلْ لِكَلَامٍ بَلْسَمٌ؟

فَسَمًّا بِاللَّهَى كُلُّ قَلْبِي لَهَا مَا سَلَا أَوْ لَهَا
تَغْرَهَا لَوْ قَبْلُ بَلْ شَفَقَتِي بِالْقُبْلِ

لَكِنَّ فِي تَغْرِهَا الظُّلُومِ كَوَاكِبًا أَطْلَعَتْ ظَلَامِي
شَكُوتُ غَرَامِي إِلَى غَرِيمِي فَقَالَ: مُتْ مِنْ جَوَى الْغَرَامِ

فَيَا أَمَانِي عُوْدِي وَعُوْدِي ذَا عِلَّةٍ عَاشَ بِالْوُعُودِ

الكفارة

إِنَّ الْوُءُودَ حُلُمٌ أَلَمْ
وَلَنْ يَءُودَ إِلَّا الْأَلَمُ

هُوَ مِثْلُ الْوَرَقِ دَقَّ جِسْمًا وَرَقٌ فَبَكَى فِي الْوَرَقِ
إِيهِ يَا خَيْرَ خَالٍ خَالَ قَلْبِي الْيَوْمَ خَالَ

اغْذُرْ قُصُورِي فَشَرُّ عَادِي عَادَ فَأَصْمَى فَمِي وَعُودِي
مَنْ عَاشَ مِثْلِي عَبْدَ الْجَمَادِ أَصْبَحَ مِثْلِي عَبْدَ الْجُمُودِ

